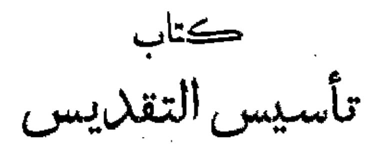


كتاب
تأسيس التقديس

فى كشف تلبيس داود بن سليمان بن جرجيس

للشيخ العالم العلامة الحبر الفهامة عبد الله بن
عبد الرحمن ابا ابطين نصر الله به الوحيين
وجعله ممن يؤتى أجره مرتين آمين

وصلى الله على عبده ورسوله
محمد وآله وصحبه
أجمعين

طبع باذن الشيخ عبد الله بن حسن
(خطيب الحرم المكى)

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية
اصحابها عيسى البابى الحلبى وشركاه
بجوار سيدنا الحسين بمصر

رمضان سنة ١٣٤٤ هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لاشريك له (وأشهد) أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما (أما بعد) فانه قد قدم علينا فى اثناء عشر ستين السنة رجل اسمه داود بن سليمان البغدادى ومعه شيء من كتب المذهب وجلس عندنا مدة وطلب منى اجازة فى الفتيا فى المذهب وكتبت له وبعد ذلك بنحو أربع سنين قدم حاجا وذكر لى أن معه ورقة فيها عبارات من كلام الشيخ تقى الدين يشبه بها على ناس يضع كلام الشيخ على غير موضعه فاحضرته وباحثته فاذا حقيقة أمر دعواه استحالة وقوع الشرك فى الأمة المحمدية ويزعم ان دعاء الاموات والغائبين والذبح والنذر لغير الله ليس بشرك ويقول ان الطلب من الاموات والغائبين لايسمى دعاء بل نداء ويقول الشرك هو السجود لغير الله فقط وسألته عن معنى لااله الا الله وما معنى الاله فارتبك وتحير (فقلت) أخبرنى عن حقيقة الشرك الذى حرمه الله وأخبر أنه لايغفره (فقال) هو السجود لغير الله فقلت نهى الله عن السجود لغير

الله لكن مادليلك على أنه شرك فلم يكن عنده جواب فلما أوردت بعض
الادلة على بطلان دعواه ودحضت حجته أظهر الموافقة قصدا لقطع الكلام
لاللموافقة باطنا فيما أظن وكتبت على ورقته التي معه نحو ثلاثين ورقة سماها
بعض الطلبة الانتصار (وبعد) ذلك طلب مني بعض الاخوان بيان معنى
بعض أبيات في البردة وتشطيرها للرجل المذكور فكتبت عليها قدر ورقتين
فاشمأز بعض المخالفين لزيغ في قلبه واعترض على ما كتبته بكتب ورقة
متضمنة شركا عظيما فكتبت على كلامه قدر ثلاثة كراريس وهم قد رفعوا
جوابي الاول والثاني الى كبيرهم داود المذكور مستنصرين به فقام وقعد
وجد واجتهد في البحث عن الاوراق التي اعترض فيها أعداء الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب رحمة الله عليه فيما دعا اليه من التوحيد فحصل فيما بلغني
جملة منها فاستمد منها وزاد من عنده فضائح وضعها في تسويده هذا الذي
عثرنا عليه فيه ترويج على الجهال فرأيت أنه يتعين على مثلي بيان تلبيسه
وتمويهه لعل الله أن يحشرنا في زمرة الذين ينفون عن كتاب الله تحريف
الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين (ذكر المعترض) في أول
تسويده بأنا نكفر من كانت البردة عنده ومن قرأها ومن سمعها واننا
نبيح قتله وهذا من أول كذبه وافترائه وزعم ان ما كتبناه متضمن لتنقيص
الرسول ﷺ وسلفه في ذلك عباد المسيح لما نهى النبي ﷺ عن عبادته
قالوا تنقص المسيح عليه السلام ونحن انما نهينا عن الغلو فيه ﷺ الذي
حذر منه بقوله لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم وقوله ما أحب أن
ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله وقوله لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد
وقوله للذي قال ماشاء الله وشئت أجعلتني لله ندا (وأما) ما ذكره هذا
من مدحه نفسه وتزكيتها بدعوى العلم وذمه المخالف وتجهيله فالعاقل مايغتر

بذلك بل يقوم لله وينظر لنفسه ويتأمل مايوردمن الحجج ولا يقلد فان التقليد لا يجوز فى هذا الاصل العظيم (قال) وقد روى هذه القصيدة مع الهمزية جاعة من العلما وشرحها بعضهم ولم يفهموا منها محذورا (فنقول) كما قال الأئمة الاعلام كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ وأيضا لايلزم أن كل من روى كتابا أو قصيدة أن يكون مستصوبا لكل ماروى * وذكر ممن روى البردة أبو حيان والبيضاوى والمحلى وابن حجر العسقلانى وكذا القسطلانى فيقال له تفسير الثلاثة للقرآن موجود وكذا شرح البخارى هل تجد فى شيء منها ما يمكن تشبيهك به على الناس بما يوافق دعواك الباطلة من أن علم اللوح والقلم من علوم النبى ﷺ وأنه لايخفى عليه شيء من دواء القلوب كما فى بيت الهمزية من قوله وليس يخفى عليك فى القلب داء وان الدنيا والآخرة من جوده ﷺ وأنه يطلب منه اليوم الانقاذ من عذاب الله والالم وان ماجاز طلبه منه فى حياته جاز طلبه منه بعد موته وان الله سبحانه أمر عباده المؤمنين بطلب حاجاتهم من الاموات والغائبين وغير ذلك من دعاويكم الباطلة ولن تجد فى كتب المذكورين وغيرهم من العلماء المحققين الامايبطل حجتك بل يوجد فى كلام كثير ممن ليس من أهل العلم المعروفين به شيء كثير تصديقا لقول النبى ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه (قال) المعترض وعصر الناظم متقدم على عصر ابن تيمية ولم ينقل عن ابن تيمية الانكار عليه (قلنا) ان كان نظمه هذا قد بلغ الشيخ فهو ممن عنى بقوله والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم بعد موته موجودة فى كلام بعض الناس مثل يحيى الصرصرى ومحمد بن النعمان وأمثالهما قال وهؤلاء لهم صلاح لكن ليسوا من أهل العلم بل جروا على عادة من يستغيث بشيخه عند الشدائد ويدعوه وقد يكون البوصيرى

وغيره ممن أراد بقوله وأمثالها وقد صنف شيخ الاسلام رحمه الله كتابا في الرد على من جوز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقرر ان ذلك من الشرك قال رحمه الله وقد طاف هذا بجوابه يعني الذي أجاز فيه الاستغاثة به ﷺ على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبته فما خالفوه مع ان قوما كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياما عظيما واستعانوا بمن له غرض من ذوي السلطان مع فرط عصبيتهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكايدة شيطانهم انتهى فهؤلاء علماء مصر في ذلك الزمان لم يخالفوا ما كتبه الشيخ فعدم مخالفتهم دليل الموافقة لاسيما وحال أكثر أهل ذلك الزمان مع الشيخ ومخالفتهم له في أشياء غير ذلك معلومة فلو رأوا لمخالفته في هذه المسألة مساغا لبادروا وأظهروا ذلك (قال البغدادي) معترضا على ما كتبناه على قول الناظم فان من جودك الدنيا وضرتها قال ومن قال لك ان الدنيا والآخرة لغير الله أفلا يجوز ان الله يعطي الدنيا لاحد وهو يجود بها أو منها أو ليس كل الوجود لله وقد ملكه لعباده فما هذا الاعتراض الفاسد قال وقد ورد ان الدنيا والآخرة خلقتا لاجله وورد في البخاري انه أكرم من الريح المرسلة فماذا يضره لو كرم بما لربه وهو حبيبه الاعظم انتهى فنقول هل يشك أحد في جوده ﷺ فهو أجود الناس وأجود من الريح المرسلة صلوات الله وسلامه عليه والمعترض حرف قول الصحابي وهو ابن عباس في قوله رضي الله عنه فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة فحرفه المعترض وقال انه أكرم من الريح المرسلة (وقوله) أفلا يجوز ان الله يعطي الدنيا لاحد وهو يجود بها أو منها يعني انه يجوز ان الله يعطي الدنيا كلها لانسان وذلك الانسان يعطي من يشاء ويمنع من يشاء وهذا

لا يليق به سبحانه ان يجعل رزق العباد عند غيره بحيث يصير ذلك الغير هو مقصودهم الذى يرغبون اليه ويسألونه قضاء حوائجهم (ومقتضى) قول الناظم فان من جودك الدنيا وضرتها انه ﷺ هو الذى جاد بهما لان الله اعطاه ذلك ليجود به على عباده بل مقتضى كلامه وان لم يرده ان النبي هو الذى جاد على أهل الدنيا باعطائهم مايحبون ويجود على أهل الجنة بها (وقوله) أو ليس كل الوجود له وقد ملكه لعباده (فهذا) كلام باطل لان الوجود يتناول كل موجود من ذلك الجنة والنار والسماء والارض والعرش والكرسى والحجب وغير ذلك من العالم العلوى والسفلى مما لايعلمه الا الله ولم يملكه لاحد من عباده بل لم يملك عباده من الوجود الا النزر القليل (قوله) وقد ورد ان الدنيا والآخرة خلقتا لاجله ﷺ (فهذا) حديث لايصح والله سبحانه قد أعلمنا بالحكمة فى خلق هذه المخلوقات كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا وقال الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وقال الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما وقال جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شيء عليم فاخبر سبحانه بالحكمة فى خلق هذه الاشياء وانه انما خلقها للحكم التى ذكرها لا لاجل أحد من عباده مع ان هذا الحديث لو صح لم يكن فيه حجة ولا شبهة يستأنس بها لما ادعاه مع انه صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على ربه وأقربهم اليه وسيلة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين لكنه نهى

عن الغلو فيه فقال لا تطرونى كما اطرت النصارى ابن مريم وقال انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله (وقول المعترض) فماذا يضره لو كرم بما لربه (مقتضى) هذه العبارة أن يتصرف فى خزائن الرب سبحانه لان التصرف والتكرم بما فى يده ليس مختصا به صلى الله عليه وسلم لان كل أحد يتصرف فيما أعطاه الله وملكه والنبى صلى الله عليه وسلم انما يتصرف بما فى يده يضعه حيث أمره ربه قال صلى الله عليه وسلم انى لا أعطى أحدا ولا أمنع أحدا وانما أنا قاسم أضع كما [1] أمرت وقال فى حكم الزكاة ان الله لم يرض فيها بحكم نبى ولا غيره حتى حكم هو فيها فجزأها ثمانية أجزاء (وقول) الناظم انمن جودك الدنيا وضرتها أى من عطائك وانعامك وافضالك الدنيا والآخرة (وهذا) كلام لايحتمل تأويله بغير ذلك ووازن بين قول الناظم من جودك الدنيا وضرتها و بين قوله تعالى قل انى لاأملك لكم ضرا ولا رشدا قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب الآية قال ابن كثير قل لاأقول لكم عندى خزائن الله أى خزائن رزقه فأعطيكم ماتريدون ولا أعلم الغيب فأخبركم بما غاب مما مضى وما سيكون ولا أقول لكم انى ملك لان الملك يقدر على مالا يقدر عليه الآدمى ويشاهد مالايشاهده الآدمى وقال تعالى قل لاأملك لنفسى نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء انأنا الا نذير و بشير لقوم يؤمنون قال ابن كثير أمر الله نبيه أن يخبر بتفويض الامور اليه وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل الامااطلعه الله عليه كما قال تعالى عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحدا الا من

(١) فى رواية حيث

ارتضى من رسول فانه يطلعه على مايشاء من غيبه قال والاحسن فى قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير مارواه الضحاك عن ابن عباس لاستكثرت من الخير أى من المال وفى رواية لعلمت اذا اشتريت رخيصا ما أربح فيه فلا أبيع شيئا الا ربحت فيه ولايصيبنى الفقر وقال ابن جرير رحمه الله تعالى وقال آخرون معنى ذلك ولو كنت أعلم الغيب لاعددت للسنة المجدبة من السنة المخصبة ولوقت الغلاء من الرخص وقال ابن زيد رحمه الله وما مسنى السوء لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيته وقال تعالى ليس لك من الامر شىء (قال المعترض) على ما كتبناه على قول الناظم ومن علومك علم اللوح والقلم (فقال) قد قال الشراح المراد باللوح ما يكتب فيه الناس وبالقلم ما يكتبون به قال ويحتمل أن يكون المراد باللوح اللوح المحفوظ ولا يلزم على هذا الاعتراض الذى قاله هذا الرجل لان مراده علم اللوح غير الفواتح الخمس قال على ان قوله علم اللوح الاضافة فيه جنسية أى بعض علم مافى اللوح والجنس يصدق على بعض الافراد الى أن قال بل ولو لم تقل هذا لم يلزم هذا الاعتراض لان فواتح الغيب الخمس لا يلزم انها فى اللوح المحفوظ بل هى فى أم الكتاب وهى غير اللوح الى أن قال فتبين من هذا ان أم الكتاب غير اللوح المحفوظ بل هى أصل اللوح انتهى (قوله) ان الشراح قالوا المراد باللوح ما يكتب فيه الناس وبالقلم ما يكتبون به فيقال هذا بعيد من مراد الناظم ومن مقتضى لفظه لان أل فى اللوح والقلم للعهد الذهنى لايقع فى ذهن السامع غير اللوح المحفوظ والقلم الذى جرى بالمقادير وكونه بعيدا من مراد الناظم فى هذه الحال لانه بالغ فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم واطرائه فلما وصفه بكون الدنيا والآخرة من جوده فتعدى فى وصفه بالجود ناسب أن يصفه بسعة العلم ولو أراد أقلام الناس لم يخص الالواح

بل يأتى بلفظ يعم ما يكتبون فيه من لوح وقرطاس وغيره وأيضا فالناس يكتبون بأقلامهم الحق والباطل ويكتبون الكفر والسحر والشعر وجميع العلوم الباطلة مما ينزه الرسول ﷺ من اضافته اليه ويكتبون بعد موته صلى الله عليه وسلم الرسائل والمداينات وغير ذلك مما يقع فى غد وذلك من الخمس التى لايعلمها الا الله وقد قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها من زعم ان محمدا يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا (وقوله) ويحتمل ان المراد اللوح المحفوظ ولا يلزم على هذا اعتراض المعترض لان المراد علم اللوح غير الفواتح الى قوله وهذه الفواتح لا يلزم انها فى اللوح المحفوظ بل هى فى أم الكتاب وهى غير اللوح الى قوله فتبين بهذا ان أم الكتاب غير اللوح بل هى أصل اللوح لم يذكر ما يبين ذلك وانما هو مجرد دعوى كاذبة وذكر ماذكره البغوى عن عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان سوى أم الكتاب وهذا حجة عليه لانه ذكر كتابين غير أم الكتاب بل كلامه يدل على ان اللوح الذى ذكر صفته هو أم الكتاب لانه لما ذكره قرا وعنده أم الكتاب الظاهر ان هذا اشارة الى ان هذا اللوح الذى وصفه هو أم الكتاب لم يقل ان اللوح المحفوظ غير أم الكتاب وما ذكره عن عطاء عن ابن عباس لم يقل فيه ان اللوح المحفوظ غير أم الكتاب والمعترض يرى البغوى قد جزم عند قوله سبحانه وعنده أم الكتاب بان أم الكتاب هى غير اللوح المحفوظ وقال البغوى أيضا فى قوله سبحانه بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ قال هو الذى يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه نسخ الكتب محفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان وقال أيضا فى قوله سبحانه وتعالى وانه يعنى القرآن فى أم الكتاب فى اللوح المحفوظ قال قتادة رحمه الله تعالى أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شىء

أصله قوله لدينا أى القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما قال بل
هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وقال البغوى أيضا فى قوله سبحانه وكل
شىء أحصيناه فى امام مبين هو اللوح المحفوظ وقال الواحدى وانه
فى أم الكتاب أى فى اللوح المحفوظ قال الزجاج أم الكتاب أصل الكتاب
وأصل كل شىء امه قال والقرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما
قال بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وقال الواحدى على قوله بل هو
قرآن مجيد فى لوح محفوظ عند الله وهو أم الكتاب منه نسخ القرآن
والكتب وهو الذى يعرف باللوح المحفوظ من الشياطين ومن الزيادة
فيه والنقصان وقال ابن كثير رحمه الله وانه أى القرآن فى أم الكتاب أى
اللوح المحفوظ قاله ابن عباس ومجاهد لدينا لعلى حكيم وقال فى قوله سبحانه
وكل شىء أحصيناه فى امام مبين أى وجميع الكائنات مكتوب مسطور فى
لوح محفوظ والامام المبين هنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن
ابن زيد بن أسلم انتهى وقال البيضاوى وعنده أم الكتاب أصل الكتب
وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وقال فى قوله سبحانه
وانه فى أم الكتاب فى اللوح المحفوظ فانه أصل لكل الكتب السماوية
لدينا لعلى حكيم وقال النسفى أم الكتاب أصل كل كتاب وهو اللوح
المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه انتهى والمراد بذكرنا كلام المفسرين
رحمهم الله تعالى وبيان اجماعهم على ان اللوح المحفوظ هو أم الكتاب
وهو نص حديث عمران بن حصين الآتى قال وكتب فى اللوح المحفوظ
كل شىء تبيين كذب هذا وجراءته فى جزمه بان أم الكتاب غير اللوح
المحفوظ مع ان هذا لا ينفعه لوسلم له لان الكل جرى به القلم فيدخل فى قول
الناظم ومن علومك علم اللوح والقلم وقوله ان الاضافة فى قوله علم اللوح
والقلم جنسية أى بعض علم ما فى اللوح والجنس يصدق على بعض افراده

فيقال علم بعض ما فى اللوح لايختص به ﷺ بل يشاركه فى ذلك غيره من الانبياء وغيرهم من آحاد الناس من كل من علم شيئا مما جرى به القلم مع انه لايصح حمل كلام الناظم على ذلك ولايحتمله لانه قال ومن علومك علم اللوح والقلم فمن فى كلام الناظم للتبعيض فمقتضى اللفظ أن علم اللوح والقلم بعض علومك وزعم بعض المنازعين ان من فى قول الناظم من جودك ومن علومك الخ انها لبيان الجنس وبينا غلطه فى جوابنا السابق ولو سلم انها لبيان الجنس مع انها لاتصلح لذلك فالمعنى على ذلك ان علومك هى عين علم اللوح والقلم لاتقصر عنها لان هذا هو معنى من البيانية وكلام الناظم خطأ على كلا التقديرين ومما يبين أن مراد الناظم احاطة النبى ﷺ بعلم الغيب قوله فى الهمزية فى حق النبى ﷺ وليس يخفى عليك فى القلب داء فوصفه ﷺ بالعلم بجميع أدواء القلوب وعللها لان قوله داء نكرة فى سياق النفى فتعم جميع مااحتوت عليه القلوب وهذا مما اختص به الرب سبحانه قال تعالى يعلم السر وأخفى وقال واعلموا ان الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه وقال يعلم ماتسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور والآيات فى هذا كثيرة معلومة وقد قال سبحانه وتعالى فى آخر مانزل من القرآن وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم وقال وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وقال النبى ﷺ انكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع قال القاضى عياض فى الشفا على هذا الحديث وتجرى أحكامه عليه السلام على الظاهر ولو شاء الله لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته الى أن قال وكان ذلك من علم الغيب الذى استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه ماشاء ويستأثر بماشاء ولايقدح هذا

فى نبوته ولا يفصم عروة من عصمته وخفى عليه ﷺ حال أهل الافك حتى جاءه الخبر من الله ويخفى عليه ﷺ أمور كثيرة يطول عدها حتى يأتيه الوحى بخبرها وقال ﷺ انه سيجاء برجال من أمتى يوم القيامة فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أمتى فيقال انك لاتدرى ماأحدثوا بعدك ثم (قال) المعترض وهوأى الناظم اثبت للنبى ﷺ علم اللوح والقلم ومراده بتعليم الله له ثم قال بعدذلك ماالمانع أن يكون من علوم النبى ﷺ علم اللوح والقلم (فالعجب) من تناقض هذا المبطل ادعى أولا ان المراد باللوح والقلم ألواح الناس وأقلامهم ثم ادعى أن الاضافة جنسية ثم اعترف بأن الناظم اثبت للنبى ﷺ علم اللوح والقلم ثم قال فما المانع أن يكون من علوم النبى ﷺ علم اللوح والقلم قال وهذا الذى قررناه بناء على ان الله تعالى يطلع نبينا وغيره على الخمس قال فهناك نقول من اطلعنا على كلامه وذكر أشياء ليس فيها ما يستأنس له به فضلا عن أن يكون حجة وانما أكثر من النقول للتمويه والترويج على الجهال ومنها ما هو حجة عليه كنقله عن شرح المشكاة لعلى القارى على قوله ﷺ مفاتح الغيب خمس أى لايعلم تفصيله الا هو ولا يعلم مجمله بحسب خرق العادة الا من قبله وقال فى شرح قوله فى خمس لايعلمهن الا الله فان قلت قد أخبر الانبياء بكثير من ذلك فكيف الحصر قلت الحصر باعتبار كلياتها دون جزئياتها قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول انتهى وهذا حجة عليه لاننا لاننكر ان الله يطلع الانبياء على أشياء من الغيب معجزة لهم ويكشف لبعض اتباعهم شيئا من ذلك كرامة لهم وانما ننكر القول بأن محمدا ﷺ يعلم جميع ماجرى به القلم فى اللوح المحفوظ ومن ذلك مفاتح الغيب الخمس وانه صلى الله عليه وسلم يعلم جميع مااحتوت عليه القلوب بقوله وليس يخفى عليك فى القلب داء واستدل المعترض بقوله سبحانه

وتعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول
وبقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من
يشاء وليس في ذلك له حجة بل هي حجة عليه ومعنى الآيتين عند جميع
المفسرين ان الله سبحانه يطلع رسله على مايشاء من الغيب آية لهم ومعجزة
ولنبينا ﷺ من ذلك مالا يحصى ولا يشك فيه مسلم واحتج المعترض بما
عن المدابغي فقال قال العلامة المدابغي في حاشيته على شرح الاربعين
لابن حجر والحق كما قال جمع ان الله لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام
حتى أطلعه على كل ما أبهمه عنه الا انه أمر بكتم بعض واعلام بعض
انتهى قلت قد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن بعض
ضلال أهل زمانه أنه ادعى ذلك للنبي ﷺ وهذه دعوة عظيمة تعارض
نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة وتخالف ما عليه الصحابة
والتابعون والعلماء بعدهم يحتاج مدعيها الى دليل واضح ولن يجد الى ذلك
سبيلا ولا شبهة معه وانما هو مجرد دعوى كاذبة جمع مدعيها بين رد نصوص
الكتاب والسنة واجماع العلماء وبين افتراء الكذب على الله ومن أظلم
ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لايهدى القوم
الظالمين قال المموه وقد أشار النبي ﷺ الى مصارع القتلى يوم بدر وكل
منهم صرع في ذلك المكان فقد علم ان هذه الانفس بأى أرض تموت
وهي من الخمس وأخبر عن أشياء تقع بعده الى يوم القيامة فوقعت كما أخبر
وهذا مما لاتدرى نفس ماذا تكسب غدا انتهى فانظر أولا الى هذه العبارات
الركيكة وقوله وأخبر عن أشياء تقع بعده الى يوم القيامة فوقعت كما أخبر
مقتضى هذه العبارة أن جميع ما أخبر بوقوعه بعده الى فناء الدنيا قد وقع
وليس كذلك وانما وقع منه ماوقع الى زمان هذا الرجل وأخبر عن وقوع
أشياء لم تقع بعد وهي واقعة بلاشك والمراد ان هذا الرجل يأتي بعبارات

فاسدة ويقال ثانيا هل ينكر ذلك مسلم وهذا ونحوه مما أخبر به من الغيب
الذي استثناه سبحانه فى قوله الا من ارتضى من رسول فانه يطلعه على
مايشاء من غيبه واستدل بقول المسيح عليه السلام وأنبئكم بما تأكلون
وما تدخرون فى بيوتكم فنقول وهذا من معجزات المسيح عليه السلام
وأورد ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان الملك الموكل بالرحم يقول
أى رب مخلقة أو غير مخلقة فان كانت مخلقة قال ذكر أو أنثى شقى أم
سعيد ماالاجل ماالاثر بأى أرض تموت فيقال اذهب الى الكتاب فانك
ستجد فيه قصة هذه النطفة قال فهذا يدل على أن الله يطلع بعض خلقه
على شيء من الخمس وهو الملك قال والنبى ﷺ أولى لانه منصوص عليه
فى قوله فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فقوله انه
منصوص عليه الذى يظهر من كلامه انه منصوص عليه بانه يعلم مافى الارحام
وهذا كذب منه وانما النص فى أنه سبحانه يطلعه على ما يشاء من غيبه
ومن ذلك اطلاعه سبحانه رسوله على ما يشاء اطلاعه عليه مما فى الارحام
ان كان قد وجد من ذلك شيء لأنه يعلم جميع مافى الارحام وجميع ماأورده
المعترض فى هذا المحل من خبر المسيح وأثر ابن مسعود وأمر قتلى بدر وغير
ذلك مما يعلم هو انه لا حجة له فيه واننا لا ننكره وانما أراد التجهيم على
الجهال وتكثير السواد فى القرطاس وجاء فى الحديث عنه ﷺ قال
فى الساعة لايجليها لوقتها الا الله وكذلك انزال الغيث لايعلمه الا الله لكن
اذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك وما شاء من خلقه وكذلك لايعلم
مافى الارحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه لكن اذا أمر بكونه ذكرا أو
أنثى أوسعيدا أو شقيا علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه
وكذلك لاتدرى نفس ماذا تكسب غدا فى دنياها وأخراها وما تدرى نفس
بأى أرض تموت قال المعترض وقد أخذ جمع من العلماء أن قول النبى

ﷺ لجبريل ماالمسئول عنها باعلم من السائل ان المعنى أنا وأنت فى العلم بها سواء فكما تعلمها أنت أعلمها أنا (فالعجب) من هذا التحريف لكلام رسول الله ﷺ الذى شابه فيه اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه مع معارضته لنص الحديث نفسه حديث جبريل من رواية أبى هريرة فى الصحيحين لما سأل النبى ﷺ عن الساعة قال ماالمسؤل عنها باعلم من السائل وسأحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربتها فذلك من اشراطها واذا رأيت الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من أشراطها واذا تطاول رعاء البهم فى البنيان فذلك من أشراطها فى خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله ﷺ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام الآية وقوله فى خمس لايعلمهن الا الله أى هى من الخمس المذكورة فى الآية التى اختص الله بعلمها ولا أظن هذا التأويل يصدر ممن عنده علم لان نص الحديث يكذبه واحتجاج المعترض بما حكاه فى تأويل هذا الحديث وبما نقله عن المدابغى صريح فى انه يقول بذلك وهذا كفر صريح لمعارضته نصوص الكتاب والسنة واجماع الامة واستشهد هذا على دعواه بما نقله عن على القارئ فى شرح المشكاة انه قال ماالتوفيق بين قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وبين ما اشتهر عن العرفاء من الاخبار الغيبية كما قال الشيخ الكبير أبو عبد الله فى معتقده انه قال ونعتقد ان العبد ينتقل فى الاحوال حتى يصير الى نعت الروحانية فيعلم الغيب وتطوى له الارض ويمشى على الماء ويغيب عن الابصار فالجواب ان للغيب مبادئ ولواحق فبادية لايطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل واما اللواحق فهو ما أظهره الله على بعض احبابه من لوحة علمه وخرج ذلك عن الغيب المطلق فصار غيبا اضافيا وذلك اذا تنور الروح القدسية وازداد نوريتها واشراقها والمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية حتى يقوى النور وينبسط

مطلب

فى فضاء قلبه فتنعكس فيه النقوش المرسمة فى اللوح المحفوظ و يطلع على
المغيبات و يتصرف فى أجسام العالم السفلى انتهى مراده بالنقوش المرسمة
فى اللوح المحفوظ الكتابة التى جرى بها القلم فى اللوح المحفوظ أورد المعترض
هذا الكلام بعد قوله وهذا الذى قررناه بناء على أن الله سبحانه يطلع
نبينا وغيره من المقربين على الخمس فاحتج بقول هذا الضال على دعواه
الباطلة من أن الله يطلع نبينا وغيره على الخمس فمن ادعى انه اذا أراض
نفسه يرى ما كتب فى اللوح المحفوظ و يعلم الغيب فهو كافر فاذا ضم الى
ذلك دعوى انه يحصل له من القدرة مايتصرف به فى العالم السفلى ازداد
كفرا ثم قال المعترض و يحتمل ان هذه الخمس لم تكتب فى اللوح
المحفوظ وانها فى غامض علم الله ومما استأثر الله به وقد قال قبل ذلك وهذه
الفواتح لايلزم انها فى اللوح المحفوظ بل هى فى أم الكتاب وهى غير
اللوح وهنا قال انها فى غامض علم الله وكذب نفسه بذكره بعد ذلك
الاثر المروى ان الملك الموكل بالرحم يقول أى رب مخلقة أو غير مخلقة الى
أن قال فيقال اذهب الى الكتاب فانك ستجد فيه قصة هذه النطفة
فانظر الى تناقض هذا تارة يقول ان الناظم أراد بقوله اللوح والقلم الواح
الناس وأقلامهم وتارة يعترف بأن الناظم أراد اللوح والقلم الذى جرى
به المقادير ولكن هذه الخمس لم تكتب فيه بل هى فى غامض علم الله وتارة
يقول هى فى أم الكتاب يعنى الخمس وهى غير اللوح المحفوظ ويجزم
بذلك وتارة يقول فى أثناء كلامه وهذا بناء على ان الله يطلع نبينا وغيره
على الخمس و يحتج على ذلك بما نقله عن المدابغى والقارى والشيخ الضال
الذى يدعى ان الانسان قد يطلع على اللوح المحفوظ و يعلم الغيب و يتصرف
فى العالم السفلى وقوله انها فى غامض علم الله يعنى الخمس وانها لم تكتب
فى اللوح المحفوظ يكذب هذا القول نصوص الكتاب والسنة قال الله تعالى

ألم تعلم ان الله يعلم مافى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير قال ابن كثير فى الآية يخبر سبحانه وتعالى عن كمال علمه بخلقه فلا يعزب عنه مثقال ذرة وانه سبحانه علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك فى اللوح المحفوظ كما فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفى السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال أول ماخلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وروى ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله اللوح المحفوظ بمسيرة مائة عام وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب قال وما أكتب قال علمى فى خلقى الى يوم تقوم الساعة فجرى القلم بما هو كائن فى علم الله تعالى الى يوم القيامة فذلك قوله تعالى ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير وجميع المفسرين على أن المراد بالكتاب فى الآية هو اللوح المحفوظ وان كل شىء من الكائنات مكتوب فيه وقال تعالى ماأصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير وفى الصحيحين عن عمران ابن حصين قال قال رسول الله ﷺ اقبلوا البشرى يابنى تميم قالوا قد بشرتنا فأعطنا قال اقبلوا البشرى يأهل اليمن قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الامر كيف كان قال كان الله قبل كل شىء وكان عرشه على الماء وكتب فى اللوح المحفوظ كل شىء ثم خلق السموات والارض فهذا الحديث شاهد للمفسرين فى تفسيرهم الكتاب فى الآيات باللوح المحفوظ وان كل شىء مكتوب

فيه وانه أم الكتاب والمراد بيان كذب هذا و بيان تناقضه وهو لايشعر بذلك بل هو خابط خبط عشواء وثبت فى صحيح البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ مفاتيح الغيب خمس لايعلمها الا الله لا يعلم أحد ماتغيض الاحام الا الله ولا يعلم مافى غد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد الا الله وتقدم حديث أبى هريرة وقول النبى ﷺ فى خمس لا يعلمهن الا الله أفيظن مسلم أن أصحاب رسول الله ﷺ يحدثون الامة بهذه الاحاديث المصرحة بتفرد الله سبحانه بعلم هذه الامور المذكورة فى هذه الاحاديث وان عندهم مايخالف ذلك فيكتمونه فيحصل التلبيس على الناس فى هذا الباب فيلزم من ذلك اعتقاد الباطل حقا والحق باطلا والصواب خطأ والخطا صوابا صانهم الله عن ذلك أم يظن مسلم انه خفى على أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين مادعاه هؤلاء الضلال وعلموه هم هذا من أبطل الباطل ويزيد ذلك وضوحا ماثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت من زعم أن محمدا يخبر بما فى غد فقد أعظم الفرية على الله ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا هذا لفظ مسلم ولفظ البخارى من حدثكم أن محمدا يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ومرادها رضى الله عنها نفى ذلك عنه ﷺ فى حال حياته وروى الامام احمد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال أوتى نبيكم مفاتيح كل شىء غير خمس ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية وفيما ذكرنا من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة كفاية فى بيان بطلان دعاوى هذا البغدادى ومن نقل عنه كالدابغى والقارى وغيرهما كحرف قوله ﷺ ماالمسؤل عنها باعلم من

السائل (وأورد المعترض) حديث المنام وقوله ﷺ رأيت ربى فى أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الى أن قال فتجلى لى كل شىء وعرفت وفى رواية فعلمت ما فى السماء والارض وفى رواية فعلمت ما بين المشرق والمغرب وليس فى ذلك مايدل على أنه ﷺ علم ماجرى به القلم فى اللوح المحفوظ ولا انه علم مفاتيح الغيب قال غير واحد ممن شرح الحديث يحمل ذلك على ان الله سبحانه كشف له عن الاعيان الموجودة اذ ذاك وهذا هو الظاهر وهو صريح رواية فعلمت ما فى السماء والارض ورواية فعلمت ما بين المشرق والمغرب وما موصوله أى فعلمت الذى بين المشرق والمغرب أى الموجود بينهما يوضح ذلك لو قلت دخلت دار فلان فعلمت مافيها انما يتناول علمك الموجود فيها من الاشياء حين دخولك لا ما يوجد فيها بعد ذلك والله أعلم ولما ذكر ابن كثير قول بعض المفسرين على قوله سبحانه وتعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض انه فرجت له السموات فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت الارضون السبع فنظر الى ما فيهن قال فيحتمل هذا انه كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عيانا ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما فى ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة كما روى الامام أحمد والترمذى وصححه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه فى حديث المنام أتانى ربى فى أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فذكر الحديث ثم تلا وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين انتهى وذكر المعترض حديث حذيفة انه قال ان النبى ﷺ أخبرنا عن كل ما يقع الى يوم القيامة حتى دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار حتى انا لنرى الطائر يقلب جناحيه

فنذ كر منه علما هكذا أورده البغدادى جعل ذلك كله من قول حذيفة وحرف اللفظ والمعنى فأول هذه الجملة من كلام حذيفة وآخرها من قول أبى ذر لكنه غير الكلام فافسد اللفظ والمعنى فنميز قول حذيفة من قول أبى ذر رضى الله عنهما ليتبين للناظر تخبط هذا الجاهل فى صحيح البخارى عن حذيفة رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشىء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم رآه ثم عرفه قال حذيفة ما أدرى انسى أصحابى أم تناسوا والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الاسماه لنا باسم أبيه وقبيلته هذا لفظ حذيفة وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه فى السماء الا ذكرنا منه علما انتهى فانظر الى تخبط هذا وتحريفه الفاحش يقول أبو ذر وما طائر يقلب جناحيه فى السماء الا ذكرنا منه علما يعنى الا ذكر لنا النبى منه علما وهذا يقول انا لنرى الطائر يقلب جناحيه فنذكر منه علما أى نذكر نحن من الطير علما فغير كلام الصحابى وأبدله بكلام لامعنى له وقول أبى ذر وحذيفة يدل على انه ﷺ أخبرهم بأمور جزئيات من الغيب تحدث بعده اطلعه الله عليها وهل فى ذلك مايدل على انه أخبرهم بوقت الساعة أو انه أخبرهم بما فى ارحام نسائهم ودوابهم أو انه أخبر كل واحد بأى أرض يموت أو بما يحدث له من الذرية ومتى يموت هذا مما يعلم قطعا انه لم يكن منه شىء وكذلك حديث المنام ليس فيه مايستأنس به لهذا المبطل وما ذكرنا من قول عائشة وابن مسعود كاف فى بطلان دعوى من قال

ان الله لم يقبض نبيه حتى اطلعه على جميع ما كتمه عنه وكذلك ماحدث به أصحاب رسول الله ﷺ عنه ﷺ مثل قوله مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وقوله عن الساعة فى خمس لايعلمهن الا الله يخبر الصحابة التابعين بذلك والتابعون يخبرون من بعدهم وأهل الحديث يروون هذه الاحاديث ويثبتونها فى كتبهم ولا يذكرون مايخالفها مما هو الحق فى زعم هؤلاء الملحدين حتى يجيء هؤلاء المفترون على الله الكذب وعلى رسوله فيبينون للناس ما خفى على الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين هذا مما يقطع ببطلانه كل عاقل وأبلغ من ذلك اخبار الله سبحانه فى كتابه بتفرده بعلم الغيب ونفيه عن غيره حتى عن نبيه محمد ﷺ والمفسرون من الصحابة ومن بعدهم يقررون ما دلت عليه الآيات ولم يذكر أحد منهم خلاف مدلولها وهذا ظاهر ولله الحمد لكن لاجل ترويج الكذبة على الجهال يحتاج الى ايضاح ذلك (واعترض هذا على ما كتبناه) على قول الناظم يا أكرم الخلق مالى من الوذ به * سواك * الى قوله مع قول المشطر

ان لم تكن فى معادى آخذا بيدى * ومنقذى من عذاب الله والالم

أو شافعا لى مما قد جنيت غدا * فضلا والا فقل يا زلة القدم

قال هذا الاعتراض باطل من وجوه الاول ان هذا الرجل يزعم ان قول الناظم ان لم تكن فى معادى أخذا بيدى وقول المشطر ومنقذى من عذاب الله والألم أو شافعالى الى آخره ان هذا الانقاذ بالفعل وانه غير الشفاعة وانه ان لم يحصل بالفعل فبالشفاعة وليس كما زعم لان الانقاذ والاخذ باليد هو أيضا بالشفاعة لان غير الشفاعة يكون استقلالا من دون الله ولا يتصور اعتقاد هذا من مسلم ولو كان بدويا جاهلا والمراد تنوع الشفاعة فالنوع الاول هو الاخذ باليد والانقاذ وقد ورد هذا فى الاحاديث الصحيحة فى الشفاعة

فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق انطلق فأخرج من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فانطلق فافعل فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فاخرج من فى قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من ايمان فانطلق فاخرجهم من النار الى أن قال فما المانع من اطلاق هذا اللفظ وهل هذا الاخراج الا الانقاذ من العذاب النوع الثانى ان النبي ﷺ فى المعاد وهو يوم القيامة حي كحاله فى الدنيا هو وجميع الخلائق فلا مانع ذلك اليوم من أن يتسبب ويخرج وينقذ من الشدة لانه حي حاضر قال وعند هذا الرجل واشياعه ان الحي الحاضر له قدرة بنفسه قال ابن عبد الوهاب فى كشف الشبهات فى جواب الحديث الصحيح ان الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى حتى ينتهوا الى محمد ﷺ وعليهم أجمعين فيقول أنا لها أنا لها قال فأجاب عن هذا بأن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة كما قال تعالى فى قصة موسى فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه وكما يستغيث الانسان باصحابه فى الحرب وغيره فى أشياء يقدر عليها المخلوق انتهى قال فاذا كان الحي الحاضر عند هؤلاء ينسبون له الفعل لانه يقدر عليه وصاحب البردة يخبر انه ان لم يكن النبي ﷺ فى معادى وهو يوم القيامة آخذا بيدى فضلا والا فقل يازلة القدم والنبي وجميع الخلق ذلك اليوم أحياء حاضرون لهم قدرة فيما يقدرون عليه من الامور العادية الحسية ونسبة الأفعال الى فاعلها واسبابها جائزة شرعا وعرفا فكيف ينكر انقاذ النبي ﷺ أمته من العذاب أو يجعله ممتنعا وانه خلاف الشفاعة مع ان النبي حينئذ حاضر له قدرة فيما يقدر عليه ذلك اليوم ويقدر على ذلك كما هو فى حال الحياة الدنيا كما كان يرمى العدو وهم ألوف بكف من تراب فيعميهم ويروى الالوف العطاش ويشبعهم بقليل من الماء والطعام وفى الحديث انكم تتهافتون

فى النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم لئلا تقعوا فيها وأعظم من هذا
ان الله نسب اخراج الكفار من النور الى الظلمات الى الطاغوت وهى
الاصنام مع انها لاقدرة لها بوجه لكن لما كانت سببا للاخراج نسب
الاخراج اليها وكذلك لما كان النبى ﷺ سببا للانقاذ من العذاب نسب
الانقاذ اليه وفى دعاء الاستسقاء اللهم أغثنا غيثا مغيثا قالوا معناه منقذا من
الشدة مع ان الغيث جماد لاقدرة له لكن لما كان سببا للانقاذ والاغاثة
نسب الانقاذ اليه وقد اشتهر عند العلماء أنبت الربيع البقل ومنع البقاء
تقلب الشمس مع ان المنبت فى الحقيقة هو الله والمانع للبقاء هو الله
وقال فوكزه موسى فقضى عليه مع ان القضاء من الله وقال فى حق نبيه
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم مع ان الواضع هو الله لكن لما
كان سببا للفعل نسب الفعل اليه بل جميع الافعال تنسب الى فاعلها فيقال
فلان أعطى وفلان منع وفلان نفعنى وفلان ضرنى ويلزم على قول هذا
الا تنسب الافعال الى فاعلها ولا قائل به قال وورد نسبة الانقاذ من النار
الى المعانى من الاعمال وقد ورد فى حديث صحيح قال رأيت رجلا من
أمتى عذب فى قبره فجاءته صلاته فأنقذته من العذاب والآخر أنقذه حجه
والآخر صيامه فاذا جاز نسبة الانقاذ من النار الى المعانى لكونها أسبابا
فنسبتها الى الذوات من باب الاولى خصوصا أشرف الذوات من المخلوقين
انتهى وجوابه أن يقال أولا وازن بين قول يا أكرم الخلق مالى من ألوذ
به سواك وبين قول الذى قال له النبى ﷺ اجعلتنى لله ندا حين قال
له ماشاء الله وشئت فهذا لو قال مالى من ألوذ به الا الله وأنت لكان أقبح
من قول القائل ماشاء الله وشئت لان الله أثبت للعبد مشيئة بقوله لمن
شاء منكم أن يستقيم فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فكيف اذا أفرد الرسول

باللياذ والالتجاء من عذاب ذلك اليوم الذى لاتكلم فيه نفس الا باذنه وقد ذكرت فى الجواب السابق الفرق بين قول هذا فى تشطيره ومنقذى من عذاب الله والالم و بين قوله او شافعا لى لان المعترض الاول ادعى بجهله ان عطف الشفاعة على الانقاذ عطف تفسير ومعنى الكلمتين واحد و بينا بطلان قوله هذا وان قوله اوشافعا لى لايصلح كونه عطف تفسير لانهم ذكروا أن عطف التفسير انما يكون بالواو خاصة وممن ذكر ذلك ابن هشام وأما العطف باو فهو نص فى أن المعطوف غير المعطوف عليه مع ان العامى فضلا عن العالم يفرق بين اللفظين فلو قصد انسان انسانا وقال قصدتك لحاجتى كذا فاما أن تقضيها أو تشفع لى عند فلان فى قضائها وكل أحد يعرف الفرق بين العبارتين كما فرق القرآن بينهما فى قول صاحب يس ءأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولاينقذون فالانقاذ هو بالنصرة والمظاهرة والشفاعة بالجاه والمكانة قال ابن القيم بعد كلام سبق على الآية ان العابد يريد من معبوده أن ينفعه وقت الحاجة دائما واذا أرادنى الرحمن الذى خلقنى بضر لم يكن لهذه الآلهة من القدرة ما تنقذنى بها من ذلك الضر ولا من الجاه والمكانة ماتشفع لى اليه ولا تخلصنى من ذلك الضر فبأى شىء تستحق العبادة انى اذا لفى ضلال مبين ان عبدت من دون الله من هذا شأنه انتهى وقال البيضاوى ءأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا أى لاتنفعنى شفاعتهم ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة انى اذا لفى ضلال مبين فان ايثار من لاينفع ولايدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال مبين لايخفى على عاقل انتهى وقوله ان الانقاذ والاخذ باليد هو أيضا بالشفاعة لان غير الشافع يكون استقلالا من دون الله ولا

يتصور اعتقاد هذا من مسلم قلت ولا يتصور ذلك من أحد من مشركى العرب الذين بعث اليهم محمد ﷺ فانهم كلهم معترفون بأن آلهتهم لاتخلق ولا ترزق ولا تدبر شيئا من دون الله ونصوص القرآن كثيرة بذلك كما قال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون أى أفلا تتقون الشرك فى الالوهية اذا أقررتم بالربوبية وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم واعترفوا أيضا بصفة العزة والعلم لله والآيات فى هذا كثيرة معلومة عند الجميع يحتج بها سبحانه عليهم باقرارهم بتوحيد الربوبية على اشراكهم فى توحيد الالوهية كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ايمانهم اذا قيل لهم من خلق السموات والارض والجبال قالوا الله وهم يعبدون معه غيره ولهذا يقولون فى تلبيتهم لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء فى الآية ايمانهم اخلاصهم الدعاء لله فى الشدائد وينسون فى الرخاء كما قال تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الآية والآية تعم ذلك كله فهذه نصوص القرآن صريحة فى أن المشركين يعترفون بتوحيد الربوبية اعترافا جازما غير مترددين ولا متوقفين بل يقرون بجملة من صفات الرب سبحانه وتعالى ينكرها كثير من المسلمين المنحرفين كاقرارهم بصفة العزة والعلم ويقرون

أيضا بعلوه فوق سمواته كما فى حديث حصين بن المنذر لما قال له النبي ﷺ كم الها تعبد قال سبعة ستة فى الارض وواحد فى السماء قال فمن الذى تعد لرغبتك ورهبتك قال الذى فى السماء وكما فى شعر أمية بن أبي الصلت وغيره وأخبر الله عنهم انهم ماأرادوا من آلهتهم الا الشفاعة عندالله فى أمور دنياهم وكذا من يعترف منهم بالآخرة فاذاطلبوا من آلهتهم حاجة من حوائجهم من رزق أو نصر على عدو ونحو ذلك لم يقولوا ان آلهتهم تحدث شيئا من مطلوبهم من دون الله وتستقل بذلك لم يقل هذا أحد منهم وانما كانوا يقولون اننا اذا طلبنا حاجتنا من هذا الوجيه عند الله حصل مطلوبنا لوجاهته عند الله ولهذا يخلصون الدعاء لله فى الشدائد و ينسون الوسائط كما قال تعالى وتنسون ما تشركون اذا تبين هذا فاذا خوطب النبي ﷺ أو غيره من الاموات والغائبين بلفظ من ألفاظ الاستغاثة أو طلب منه حاجة يقول أغثني أو أنقذني من كذا أو خذ بيدى أو اقض حاجتي أو أنت حسبي أو اشكو اليك حاجتي ونحو ذلك يتخذه واسطة بينه و بين الله فى ذلك فهذا شرك العرب الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ وقول المستغيث خذ بيدى أو أنقذني من أبلغ ألفاظ الاستغاثة فلو اعتقد الداعي ان من دعاه وطلبه يقضي حاجته استقلالا من دون الله كان هذا شركا فى توحيد الربوبية والالوهية قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله تعالى ومن رحمة الله سبحانه ان الدعاء المتضمن شركا كدعاء غيره أن يفعل أو دعائه أن يدعو ونحو ذلك لايحصل غرض صاحبه ولايورث حصول الغرض بشبهة إلا فى الامور الحقيرة فاما الامور العظيمة كانزال الغيث عند القحوط وكشف العذاب النازل فلا ينفع فيه هذا الشرك قال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان

مطلب

مطلب

كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون ماتشركون وقال واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وقال أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله وقال أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا فكون هذه المطالب العظيمة لايستجيب فيها الا هو سبحانه دل على توحيده وقطع شبهة من أشرك به قال رحمه الله وجماع الامر أن الشرك نوعان شرك فى ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبيرا ما كما قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير فبين أنهم لايملكون مثقال ذرة استقلالا ولا يشركون فى شىء من ذلك ولا يعينونه على ملكه (١) فلم يكن مالكا ولا شريكا ولا عونا فقد انقطعت علاقته وشرك فى الالوهية بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو دعاء مسئلة كما قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين فكما أن اثبات المخلوقات سببا لايقدح فى توحيد الربوبية ولا يمنع أن يكون الله خالق كل شىء ولا يوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة كذلك اثبات بعض الافعال المحرمة من شرك أو غيره أسباب لاتقدح فى توحيد الالوهية ولاتمنع أن يكون الله هو الذى يستحق الدين الخالص ولا توجب أن تستعمل الكلمات والافعال التى فيها شرك اذا كان الله يسخط ذلك ويعاقب عليه ويكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته اذ قد جعل الخير كله فى ألا نعبد الا اياه ولا نستعين الا به قال وعامة آيات القرآن تثبت هذا الاصل حتى انه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون اذنه كقوله سبحانه من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقال وانذر به الذين

(١) لعله فلما لم اه تقرير

يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع وقال
وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع
وقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء
ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع
بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون وسورة الانعام سورة عظيمة مشتملة
على أصول الايمان وكذلك قوله ثم استوى على العرش مالكم من دونه
من ولى ولاشفيع وقال والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقال أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون
شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جيعا وسورة الزمر أصل عظيم فى هذا
قال والقرآن عامته انما هو فى تقرير هذا الاصل العظيم الذى هو أصل
الاصول انتهى وما احتج به هذا الملحد من قول النبى ﷺ أمتى أمتى
فيقال انطلق فأخرج من فى قلبه كذا وكذا من ايمان وقوله فما المانع
من اطلاق هذا اللفظ يعنى لفظ الانقاذ وطلبه من النبى ﷺ وهل هذا
الاخراج الا الانقاذ من عذاب الله فالعجب من هذا التمويه فهل فعل
هذا ﷺ بنفسه أو بأمر الله له بذلك فالله سبحانه هو الذى أكرمه
بهذه الشفاعة فهو ﷺ عبد مأمور لايشفع الا باذن ربه فيمن أذن الله
له أن يشفع فيه فقط لايتجاسر أن يشفع فى غير من أذن له فيه ربه ثم
انظر قول هذا ان النبى ﷺ حى كحاله فى الدنيا هو وجميع الخلائق
فلا مانع فى ذلك اليوم من أن يتسبب ويخرج وينقذ من الشدة لانه حى
حاضر والنبى وجميع الخلائق ذلك اليوم احياء حاضرون لهم قدرة فيما
يقدرون عليه من الامور العادية الحسية قال وعند هذا الرجل واشياعه
ان الحى الحاضر له قدرة بنفسه فكيف ينكر انقاذ أمته من العذاب

ويجعله ممتنعا مع ان النبي حينئذ حاضر له قدرة فيما يقدر عليه ذلك
اليوم ويقدر على ذلك كما هو فى حال الحياة الدنيا كما كان يرمى العدو
وهم ألوف بكف من تراب فيعميهم ويروى الالوف العطاش ويشبعهم
بقليل من الماء والطعام فلينظر المنصف الى تقرير هذا المبطل وجعله النبي
بل وغيره يتصرفون فى ذلك اليوم كتصرفهم فى الدنيا وانه صلى الله عليه
وسلم يخرج وينقذ من الشدة ويقرر ذلك هذا التقرير وانه صلى الله عليه
وسلم يقدر على ذلك أي الانقاذ وتعجبه ممن ينكر ذلك فقال وكيف ينكر
انقاذ أمته من العذاب ويحتج علينا بأن للحى الحاضر قدرة فى الدنيا
على التصرف بالفعل بنفسه فنقول فيلزمكم أن تثبتوا ذلك فى الآخرة
لا فرق ثم قال ويقدر على ذلك كما هو فى حال الحياة الدنيا وقوله والنبي
وجميع الخلائق ذلك اليوم لهم قدرة فيما يقدرون عليه من الامور
العادية الحسية والمراد بالامور العادية الاشياء التى يفعلها الحى فى العادة
والحسية الافعال المشهودة بالعيان مثل اعطاء بعضهم بعضا ومعاونة
بعضهم بعضا وكذا جناية بعضهم على بعض والعجب من هذا الضال
سوى فى هذه الامور بين الدنيا والآخرة ولم يجعل لاخباره سبحانه بتفرده
بالملك والامر فى ذلك اليوم فائدة ولا معنى وأى محادة لله ورسوله
أكبر من هذا وهذه نصوص الكتاب والسنة نذكر بعضها فيعرض
المنصف كلام هذا الرجل عليها قال تعالى مالك يوم الدين قال ابن كثير
وانما أضيف الملك الى يوم الدين لانه لايدعى أحد هناك شيئا ولايتكلم أحد
الا باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن
وقال صوابا وقال يوم يأت لاتكلم نفس الا باذنه وقال وخشعت الاصوات
للرحمن فلا تسمع الا همسا وقال الضحاك عن ابن عباس مالك يوم الدين

يقول لايملك أحد فى ذلك اليوم حكما كملكهم فى الدنيا قال ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم يدينهم باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر الا من عفى عنه قال وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر وقال البغوى مالك يوم الدين انما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها لان الاملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر الا له قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال والامر يومئذ لله انتهى وقال تعالى والى الله ترجع الامور وقال واليه يرجع الامر كله وهذا معنى قوله والامر يومئذ لله وقال تعالى قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور وقال الملك يومئذ لله يحكم بينهم وقال الملك يومئذ الحق للرحمن وقال واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا قال البيضاوى فى هذه الآية يوم لاتجزى نفس عن نفس شيئا قال وايراده شيئا منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى انتهى وما ذكره البيضاوى من أن النكرة فى سياق النفى تعم مجمع عليه عند البيانين والاصوليين وعليه جميع المفسرين والفقهاء وقال تعالى واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئا وقال يوم لايغنى مولى عن مولى شيئا وقال يوم لاتملك نفس لنفس شيئا فنكر النفسين وشيئا وهذا من أبلغ صيغ العموم فى النفى كما قال البيضاوى فيعم جميع الانفس وكلما يقع عليه اسم شىء ثم أكد ذلك بقوله والامر يومئذ لله وقال ابن كثير وماأدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين بتهويل لشأن ذلك اليوم ولهذا قال يوم لاتملك نفس لنفس شيئا أى لاينفع أحد أحدا ولا يدفع أحد عن أحد شيئا ولهذا قال والامر يومئذ لله كقوله الملك يومئذ الحق للرحمن وقوله لمن الملك اليوم وكقوله مالك يوم الدين قال قتادة والامر يومئذ لله قال

والامر والله لله اليوم ولكن لا ينازعه يومئذ أحد ولا يصنع أحد شيئا الا رب العالمين وقال الزمخشرى وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين يعنى ان أمر يوم الدين عظيم بحيث لايدرك كنهه فى الهول والشدة وكيفما تصورت فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرار لزيادة التهويل ثم أجمل القول عن وصفه فقال يوم لاتملك نفس لنفس شيئا أى لاتستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه فلا أمر الا الله وحده وفى تفسير الجلالين يوم لاتملك نفس لنفس شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله لاامر لغيره معه [1] أى لم يمكن لاحد من الخلق التوسط فيه بخلاف الدنيا وقول المعترض ان البغوى قال فى قوله تعالى يوم لاتملك نفس لنفس شيئا ان هذا فى النفس الكافرة وكذب فى نسبة ذلك الى البغوى فان البغوى حكى ذلك عن مقاتل فيحتمل ان مقاتلا خص بعض ما تناولته الآية لمعنى ما والظاهر ان مراده ان غير الكافر يشفع فيه الشافعون و يرى ان من أذن له فى الشفاعة يملك ما أذن له فيه كما قال بعض المفسرين فى قوله سبحانه لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون بناء على ان الاستثناء فى الآيتين متصل وان من أذن له فى الشفاعة يصدق عليه انه مالك الشفاعة فيمن أذن له فيه فقط والشفاعة المأذون فيها هى غير الامر الذى اختص به سبحانه فى قوله والامر يومئذ لله والالف واللام فى الامر تفيد العموم عند الجميع كقوله واليه يرجع الامر كله والى الله ترجع الامور فهو سبحانه له الامر والاذن فله الامر كله قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض يوم يأت لاتكلم نفس الا باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا والعموم فى قوله سبحانه وتعالى يوم

(١) نسخة فيه

لاتملك نفس لنفس شيئا كالعموم فى نظائرها من الآيات التى قدمنا ذكرها كقوله واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا وقوله لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وما رأينا أحدا من المفسرين قال فى هذه الآية بالخصوص بل قرروا عمومها على مقتضاه ولم يقل أحد منهم فى شىء منها انه يختص بالكفار سوى ماذكره البغوى عن مقاتل فى قوله يوم لاتملك نفس لنفس شيئا وليس هو بصواب وهو مخالف لما عليه المفسرون وأهل العربية والاصوليين والفقهاء فى قولهم بعموم النكرة فى سياق النفى فمن له نظر فى كتب الجميع وجد ذلك صريحا قال فى شرح مختصر التحرير ومن صيغ العموم نكرة فى نفى صرح به أهل العربية وكذا قال العراقى فى شرح جمع الجوامع ان النكرة فى سياق النفى تعم ولم يذكر خلافا وهذا يفهم كل أحد من مثل قوله تعالى ولاتظلمون نقيرا ولا يظلمون فتيلا لا تخفى منكم خافية ان الله لايخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء فلا يخاف ظلما ولا هضما فمن سمع هذه الآيات ونحوها لم يشك فى عمومها كيف وفى قوله سبحانه وتعالى يوم لاتملك نفس لنفس شيئا زيادة تأكيد للنفى لانه نكر النفسين وشيئا فهو كما قال البيضاوى فى قوله لاتجزى نفس عن نفس شيئا حيث قال وايراده شيئا منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى ولا ريب ان الشفاعة الحاصلة باذنه سبحانه وتعالى ليست داخلة تحت النفى حتى يقال ان هذا مخصوص بالكافرة وانما المنفى نفع أحد أحدا بشفاعة أو غيرها بدون اذنه تعالى كما قال قتادة وليس أحد يصنع يومئذ شيئا الارب العالمين ومما يوضح خطأ من خص الآية بالكافرة ماثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قال رسول الله ﷺ يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا.

الى أن قال يافاطمة بنت محمد سليني من مالى ماشئت لاأغنى عنك من الله شيئا وفى رواية الترمذى لحديث أبى هريرة يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فانى لا أملك لكم ضرا ولا نفعا الى أن قال يافاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لك من الله شيئا (١) ان لك رحما سأبلها ببلالها وفى صحيح مسلم من طريق آخر عن أبى هريرة قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله ﷺ قريشا فعم وخص فقال يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يامعشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة بنت محمد انقذى نفسك من النار فانى والله لا أملك لكم من الله شيئا الا أن لكم رحما سأبلها ببلالها وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله ﷺ فقال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب يابنى عبد المطلب انى لاأملك لكم من الله شيئا سلونى من مالى ماشئتم وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول يارسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لاألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول يارسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك الحديث فاخبر الصادق المصدوق انه لايملك لابنته سيدة نساء الامة وعمه وعمته والمهاجرين والانصار من الله شيئا ولا يغنى عنهم من الله شيئا فهذه الاحاديث ونحوها شاهدة للعموم فى قوله سبحانه وتعالى يوم لاتملك نفس لنفس شيئا مع ان الآية صريحة فى ذلك فهذه الاحاديث تزيد الواضح وضوحا ولله الحمد مع ان قول مقاتل ليس فيه حجة لهذا المبطل لاننا نقطع ان مقاتلا لم يرد أن أحدا يفعل

(١) فى نسخة ضرا ولا نفعا

فى ذلك اليوم شيئا من دون الله أو ان أحدا يشفع عنده بغير اذن وانما أراد نفى الشفاعة فى الكافر وليتأمل المنصف ماذكرنا من الآيات والاحاديث المصرحة بتفرد الله سبحانه بالملك والامر فى ذلك اليوم وانه لاحاكم ولا متصرف هناك سواه سبحانه ويعرض قول هذا الملحد المشرك بين الله وبين رسوله بل وغير الرسول فى التصرف والامر فى ذلك اليوم العظيم بقوله ان النبي يقدر على انقاذ أمته من العذاب فى ذلك اليوم وانه يقدر على ما كان يقدر عليه فى الدنيا وانه يتصرف فى ذلك اليوم هو وغيره كما كانوا فى الدنيا فيعرض كلام هذا على ما ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله ليتبين الهدى لمن أراد الله هداه (قال المعترض) وصاحب البردة يخبر أنه ان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فى معادى آخذا بيدى والا فقل يازلة القدم فيقال له قول صاحب البردة وقولك ليس اخبارا بل هو استغاثة من أبلغ ألفاظ الاستغاثة كقول الابوين ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقول نوح والا تغفرلى وترحمنى أكن من الخاسرين وقول بنى اسرائيل لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين أترى ان الابوين وجميع المذكورين يخبرون الله بانه ان لم يغفرلهم ويرحمهم فهم خاسرون وان هذا منهم مجرد اخبار بل كل أحد يعرف ان هؤلاء الذين أخبر الله عنهم بهذا الكلام يسئلون الله ويرغبون اليه فى ان لم يغفر لهم ويرحمهم ومعترفون بانه ان لم يغفرلهم ويرحمهم فهم خاسرون وهذا الجاهل لا يعرف الفرق بين نوعى الكلام من الانشاء والخبر فالكلام عند علماء البيان نوعان خبر وانشا فالخبر ما احتمل الصدق والكذب أى ما احتمل أن يكون قائله صادقا ويحتمل أن يكون كاذبا كقوله جاء زيد وقدم عمرو فهذا قول يحتمل أن يكون صدقا وان يكون كذبا فهذا تعريف الخبر وما سواه يسمى انشاء وأما قول صاحب البردة وقول المشطر يا أكرم الخلق

مالى من ألوذ به سواك الى قولها ان لم تكن فى معادى آخذا بيدى
ومنقذى من عذاب الله والالم الى قوله والا فقل يازلة القدم أى وان لم
تأخذ بيدى وتنقذنى من عذاب الله فقل يا زلة القدم أى فانا خاسر أو
هالك فهو كقول الابوين وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقول نوح والا تغفرلى وترحمنى أكن من الخاسرين وقول بنى اسرائيل
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ثم أورد المعترض
أشياء يستدل بها لقوله ومنقذى من عذاب الله والالم وليس فيها مايستأنس
له به فضلا عن أن يكون حجة وانما أراد الاكثار من الكلام ايهاما للطغام
وقد قدمنا جلة من شبهه حقيقتها نسبة المسبب الى سببه منها قوله فوكزه
موسى فقضى عليه قال مع ان القضاء من الله يعنى ان القضاء فى هذا الموضع
هو فعل الرب سبحانه الذى بمعنى التقدير كما يقال قضى الله كذا أى
قدر كذا وقد أخطأ فى معنى هذه الكلمة وانما المراد بالقضاء فى قوله فقضى
عليه القتل الذى هو فعل موسى لافعل الرب يقول فوكزه موسى فقضى
عليه أى فقتله هذا هو المراد عند جميع المفسرين تقول العرب قضى
فلان على فلان اذا قتله ويقال قضى فلان أى مات وقوله صلى الله عليه
وسلم وأنا آخذ بحجزكم عن النار المراد تحذيره عن الاعمال التى توجب
غضب الرب وتورد النار (وقوله) ان الله نسب اخراج الكفار من
النور الى الظلمات الى الطاغوت وهى الاصنام فأخطأ فى قوله ان المراد
بالطاغوت هنا الاصنام وأكثر المفسرين يقولون المراد بالطاغوت هنا
الشياطين وقيل المراد كعب بن الاشرف وأشباهه من علماء اليهود ولم
نر من فسر الطاغوت هنا بالاصنام ولهذا قال يخرجونهم فأتى بضمير العقلاء
فلو ذهبنا نتتبع خطاه وتخبيطه فى نحو ذلك لطال الكلام وذكر قول
الشاعر منع البقاء تقلب الشمس وقولهم انبت الربيع البقل ومن استدل

مطلب

بنحو ذلك على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من الاموات والغائبين بطلب الحاجات منهم ثم طلب الانقاذ من عذاب يوم القيامة وشدائده فقد أتى بما ينكره العامى السليم الفطرة ولكن الهوى يعمى ويصم ونحن لا ننكر اضافة الاشياء الى أسبابها ولكن الله سبحانه هو خالق الاسباب والمسببات ولا يلزم من ذلك أن نعتمد على الاسباب فضلا عن أن نسئلها ونرغب اليها وهى مخلوقة بل يتعين على العباد أن يعتمدوا على خالق الاسباب ويرغبوا اليه ويستعينوا به ويعبدوه وحده اياك نعبد واياك نستعين وقال شيخ الاسلام تقى الدين فى أثناء كلام له ان اثبات المخلوقات أسبابا لايقدح فى توحيد الربوبية ولا تمنع أن يكون الله خالق كل شىء ولاتوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أودعاء استعانة انتهى وقدتقدم وهذا المبطل يقول اذا كان الله قد جعل النبى سببا للانقاذ من النار من أراد الله هدايته جاز ان يطلب الانقاذ من النار منه ﷺ فطرد هذا الاصل الباطل أن يجوز ذلك فى جميع الاسباب وقد قال الله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيلزمه أن يجوز للناس أن يطلبوا من الريح أن تسير لهم سحابا ماطرا وقال تعالى فى حق نبيه كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور والمراد بالظلمات ظلمات الجهل والكفر والشك الى نور العلم والايمان فيجوز على أصل هذا أن يقال يارسول الله أخرجنا من الظلمات الى النور وهذا حقيقة هداية الصراط المستقيم فيقال يارسول الله اهدنا الصراط المستقيم وهذا لازم لهذا المبطل على أصله الباطل لامحيد له عنه ولانستبعد التزامه ذلك لجهله وعناده وقد قال الله تعالى انك لاتهدى من أحببت قوله وقد ورد نسبة الانقاذ الى المعانى من الاعمال الى آخر كلامه هذا مما احتج به لقوله ومنقذى من عذاب الله والالم فانظر هذا

القياس الفاسد وجعله هذا من باب أولى وقياسه هذا أقبح من قياس الذين
قالوا انما البيع مثل الربا لو انه ساوى بين الامرين فكيف وهو يقول هذا
من باب أولى فكذب على الله وعلى رسوله فى زعمه ان ذوات المخلوقين
تنقذ من عذاب الله كما تنقذ الاعمال الصالحة بل هى أولى فى زعمه ومراده
طلب الانقاذ من المخلوقين لانه أراد بذلك الاحتجاج لطلبه الانقاذ من
النبي ﷺ بقوله ومنقذى من عذاب الله والالم ولقوله ان الله أمر بطلب
الحاجات من الاموات والغائبين وهذا من الكذب على الله وشرع دين
لم يأذن به الله حيث زعم ان الله يحب من عباده أن يطلبوا من غيره ان
ينقذهم من عذابه وانه يحب من المؤمنين طلب الحاجات من الاموات
والغائبين أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى
قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق
وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون
والله سبحانه جعل دخول الجنة والنجاة من النار معلقا على الاعمال
الصالحة لاعلى الالتجاء الى المخلوقين والاستعانة بهم والتوسل بذواتهم قال
تعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى
من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن الآيتين فعلق سبحانه
النجاة من عذابه ومغفرة ذنوبهم ودخولهم الجنة والنصر على الاعداء على
الايمان بالله وبرسوله والجهاد فى سبيله وقال وبشر الذين آمنوا وعملوا
الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وقال ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وقال والعصر
ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا

بالصبر وكما جعل سبحانه اتباع رسوله سببا لمحبته ومغفرة الذنب والفلاح في الدنيا والآخرة قال سبحانه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون وهذا المفترى على الله الكذب يزعم ان التقرب الى الله بذوات المخلوقين أولى من التقرب اليه بالاعمال الصالحة وباتباع رسول الله ﷺ فيا سبحان الله كيف يروج تمويهه هذا على من يسمع هذه الآيات ونحوها مما لا يحصى من آى القرآن وعلى من يسمع قول الله سبحانه مالك يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه ونحو هذه الآيات مع قول النبي صلى الله عليه وسلم لابنته وعمه وعمته والمهاجرين والانصار لا أغنى عنكم من الله شيئا لا أملك لكم من الله شيئا ويؤكد ذلك بحلفه لابنته وعمته انه لا يغنى عنهم من الله شيئا وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل انى لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا أى لا أجد من التجي اليه وأعتمد عليه وصاحب البردة يقول فان لى ذمة بتسميتي محمدا يعنى أنا فى ذمته وجواره لموافقة اسمي اسمه وهذا يقتضى أن كل من سمي محمدا فهو فى ذمته ﷺ وقوله فى الهمزية الامان الامان أى أسئلك الامان فأكده تأكيدا لفظيا فهو يطلب من النبي ﷺ أن يؤمنه ويجيره من عذاب الله وقد قال النبي ﷺ لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل وكان أكثر دعاء النبي ﷺ اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ومن دعائه ﷺ رب قني عذابك يوم تبعث أو تجمع عبادك وفى دعاء الخروج

الى الصلاة أسئلك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى انه لايغفر الذنوب الا أنت فالنبي ﷺ يسأل الله أن يقيه عذابه وعذاب النار ويسأله أن ينقذه من النار وهذا يطلب الانقاذ من النبي ﷺ ما أعظمه من ضلال وفى بعض أدعيته ﷺ أسئلك الفوز بالجنة والنجاة من النار وقال للذى قال لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ انى أسئل الله الجنة وأعوذ به من النار حولها ندندن ومن دعائه ﷺ لاملجأ ولا منجا منك الا اليك أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لاأحصى ثناء عليك فالتجا الى الله منه واستعاذ به منه وصاحب البردة والمشطر التجيا الى الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب الله وعاذا به منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي قال اللهم انى أتوب اليك لاالى محمد عرف الحق لاهله * وزعم هذا المتخبط * ان الشفاعة نوعان أحدهما الاخذ باليد والانقاذ والثانى معنى قولى أى شافعا لى باستغفاره فالاولى شفاعة فعلية بان يخرجه من العذاب بعد وقوعه فيه والثانية شفاعة قولية بأن يحال بين المذنب وبين المؤاخذة انتهى فانظر الى هذا التقسيم الباطل وهل يعقل الناس شفاعة الا بالكلام من الشافع كما فى حديث الشفاعة الطويل حتى استأذن على ربى فاذا رأيته وقعت له أو خررت ساجدا لربى فيدعنى ما شاء الله ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأرفع رأسى فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة وذكر الثانية كذلك والثالثة والرابعة وكذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فى اخراج ناس من النار يقال له انطلق فاخرج من فى قلبه كذا من ايمان فالعجب من ترويج هذا المبطل وهل يسمى الفعل المجرد عن القول شفاعة عند عالم أو جاهل انما الشفاعة

بالكلام وقبولها بالفعل من الشافع فيما أذن له فيه فادخاله ﷺ الجنة من أمره الله بادخاله واخراجه من النار من أمره باخراجه هذا حقيقة قبول الشفاعة لا ان ذلك شفاعة أخرى وهل يوجد فى حديث انه ﷺ أدخل أحدا الجنة أو أخرج أحدا من النار بغير أمر الله وهذا أمر واضح مايحتاج الى توضيح لكن ربما يحصل بكلامه تشبيه على الجاهل فلو ذهبنا نتتبع مافى كلامه من الركاكة والتناقض والعيب لاحتمل مجلدا * من ذلك قوله على قوله فى القصيدة أو شافعا لى مما قد جنيت فراده اخباره عن نوع آخر من الشفاعة وهو كونه شافعا لى باستغفاره أو بدعائه لا بفعله فيشفع لى شفاعة ثانية مما جنيت من الذنوب فلا يؤاخذنى بها فلا أرى العذاب بالكلية أو يزيد فى درجاتى ثم قال بعد ذلك وقولى ثانيا أوشافعا لى مما قد جنيت غدا فهى شفاعة أخرى غير شفاعة الانقاذ بالاستغفار للمذنب قال تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فالاولى شفاعة فعلية بان ينقذه من العذاب بعد وقوعه والثانية شفاعة قولية بان يحال بين المذنب و بين المؤاخذة قال وهذا ظاهر انتهى أقول بل كله كلام باطل متناقض من ذلك كونه جعل قوله فى خطابه للنبى ﷺ ومنقذى من عذاب الله والالم أو شافعا لى اخبارا فهذا باطل بل هو استغاثة به ﷺ لا خبر وقد قدمنا عند قوله فيما تقدم وصاحب البردة يخبر انه ان لم يكن النبى ﷺ آخذا بيده والا فقل يازلة القدم ايضاح ذلك ولكن لو سلم انه خبر مع استحالة كونه خبرا فهو اخبار منه للنبى ﷺ لان الخطاب معه فهو يخبر النبى ﷺ بان يشفع له شفاعتين قولية وفعلية فهو يخبر النبى بما لا يعلمه لانه لو كان يعلم ذلك لم يحتج الى اخباره

له بذلك وحقيقة كلامه اذا جعله خبرا انه يقول أنت يارسول الله تشفع لى شفاعتين فعلية وقولية فهل يوجد كلام أسمج من هذا الكلام مع تضمنه الكذب على الله وعلى رسوله وتزكية نفسه بحصول شفاعة النبي ﷺ له فهو والحالة هذه شاهد لنفسه بانه من أهل الجنة وجعله الشفاعة الاولى بان ينقذه النبي من العذاب بعدوقوعه فيه والشفاعةالثانية استغفار النبي ﷺ له ما أعجب هذا هل فى الآخرة توبة واستغفار وانما الواقع من الانبياء وغيرهم الشفاعة ولم يأت أهل الموقف الى الانبياء يقولون استغفروا لنا بل يقولون اشفعوا لنا وأيضا اذا حصلت لهذا الشفاعة الفعلية بزعمه وهى الانقاذ من العذاب فقد سلم من المؤاخذة بذنبه فلا يحتاج أن يشفع له ثانيا بان لايؤاخذ بذنبه ومن له أدنى نظر تبين له فساد كلامه وتناقضه فى أكثر المواضع من تسويده هذا والله الهادي الى سواء السبيل (وذكر المعترض) انى استدللت بقول الله سبحانه أفأنت تنقذ من فى النار ولا أذكر ذلك ولا وجدته فى المسودة عندى ولا شك ان معنى الآية ان من كتبه الله شقيا لاتنقذه مما هو فيه من الضلالة لان من يهده الله فلامضل له ومن يضلل فلا هادى له هذا مع انى أقول الاستدلال بعموم الآية على ما نحن فيه سائغ وما زال العلماء يستدلون بآيات نزلت فى أمور خاصة على مايتناوله اللفظ بعمومه والعبرة عند العلماء بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لاسيما والمستدل بهذه الآية عليه ثابت حكمه بنصوص آيات وأحاديث كقوله سبحانه مالك يوم الدين يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وكقوله ﷺ لسيدة نساء الامة ولقرابته أنقذوا أنفسكم من النار فانى لا أملك لكم من الله شيئا وقوله للمهاجرين والانصار لا أملك لكم من الله شيئا ومعنى لاأملك لكم من الله شيئا لا أملك لكم ضرا ولا نفعا كما فى رواية الترمذى للحديث (قال البغدادى) وهذا الرجل ينكر نسبة

مطلب

الانقاذ من النار بالفعل الى رسول الله ﷺ ويذكر الاحاديث التى فيها نسبة الانقاذ من النار الى قريش ولا يدرى أنها رادة عليه مدعاه الذى يدعيه اذ يقال كيف نفى الله الانقاذ عن نبيه ويثبته لاقاربه من قريش بقوله أنقذوا أنفسكم من النار فانه نسب الانقاذ من النار لهم فان قلت أراد انكم تسببون فى انقاذ أنفسكم بالاسلام قلنا وكذلك اطلاق كلامنا ككلامه فان مرادنا بقولنا ومنقذى من عذاب الله والالم أى متسببا فى انقاذى أومنقذى بفعله انتهى فانظر الى هذا الكلام الباطل والقياس الفاسد يقول كيف ينفى الانقاذ عن نبيه ويثبته لاقاربه من قريش وقوله واطلاق كلامنا ككلامه الخ قلنا أما الاتفاق فى الحروف فنعم وأما فى المعنى فبين الكلامين من التباين مالا نهاية له فالعجب من هذا التلبيس الذى لا يخفى على العامى السليم الفطرة فقوله فكلامنا ككلامه يقال له كذبت فهو ﷺ يقول أنقذوا أنفسكم من النار بطاعة الله ورسوله فهذا السبب الذى أمرهم به ﷺ فى دار العمل وأنت تطلب الانقاذ من النار من النبى ﷺ بفعله فى دار الجزاء فسببك الذى تعتمد عليه الشرك وهو الاستغاثة به ﷺ لينقذك من عذاب الله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله والسبب الذى أمر به ﷺ التوحيد ولزوم طاعة الله ورسوله فالسبب الذى أمر به ﷺ يوصل الى رضى الله والجنة وسببك الذى تدلى به يبعدك عن الله غاية الابعاد وهل قال النبى ﷺ لابنته وعمه وعمته والمهاجرين والانصار أنا أنقذكم من عذاب الله أو أتسبب فى انقاذكم فلا تخافوا فلو كان له ﷺ شىء من هذا الامر ذلك اليوم لكان هؤلاء أحق من غيرهم وقوله كيف ينفى الانقاذ عن نبيه ويثبته لقريش قلنا لم ننف الانقاذ عنه صلى الله عليه وسلم بل هو الذى نفاه عن نفسه بقوله لا أملك لكم من الله شيئا لا أغنى عنكم من الله شيئا فالانقاذ

الذى أمرهم به غير الانقاذ الذى نفاه عن نفسه (قال المعترض) وأما استدلاله بقوله سبحانه عن صاحب يس ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فان هذا فى الاصنام التى اتخذها الكفار آلهة وأربابا من دون الله قال فهل يستدل من له أدنى تمييز على عدم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وانقاذه لامته بمثل هذا الدليل الباطل الذى ساوى فيه الاصنام بسيد الانام بعد ماأخبر الله عنه بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال وظاهر كلام هذا الرجل انكار الشفاعة بالكلية لقوله وهذا نص فى ان من أراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع قال ومعلوم ان من استوجب العذاب من المسلمين أو دخل فيه وشفع فيه الانبياء أو الملائكة أو المؤمنون لاشك ان الله أراده بضر ونفعته شفاعة الشافعين فكيف يجوز لمسلم انكار الشفاعة وهو يدعى انه من أهل السنة والجماعة ويستدل عليها بآية الاصنام المتخذة أربابا انتهى (قوله) ان هذه الآية أعنى آية يس فى الاصنام خاصة فهو كاذب ضال فى قوله هذا بل الآية عامة فى كل ما عبد من دون الله لان من أراده الله بضر لم يغن عنه معبوده شيئا سواء كان معبوده ملكا أو نبيا أو غيرهما فلا يكشف عنه ضرا أراده الله به ولا يجلب له نفعا وأتى سبحانه فى الآية بضمير العقلاء بالواو والميم فهى عامة فى كل معبود من دون الله سواء كان عاقلا أو جمادا يوضح ذلك قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا الآية قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هم الملائكة والمسيح وأمه وعزير وقال ابن مسعود نزلت فى أناس يعبدون ناسا من الجن فأخبر سبحانه ان هؤلاء لا يملكون كشف الضر عمن عبدهم ولا تحويلا من موضع الى موضع وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو (وهذا المعترض) يقول هذه الآية آية يس فيمن عبد الاصنام ومقتضى

قوله ان من عبد غير الاصنام ان معبوده ينفعه بشفاعة وغيرها ومن المعلوم بالسنة المتواترة واجماع أهل السنة بل الامة ان من مات مشركا لاشفيع له وأخبر سيد الشفعاء صلوات الله وسلامه عليه ان شفاعته لمن مات لايشرك بالله شيئا فمن عبد غير الله من ملك أو نبي أو صالح أو صنم أو غير ذلك فانه لايشفع فيه شافع ولا يدفع عنه دافع قال الله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وقال فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقال وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وانظر الى انكار هذا المعترض قولنا ان من أراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع كما هو نص الآية بقوله ظاهر كلام هذا الرجل انكار الشفاعة بالكلية لقوله وهذا نص في أن من أراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع فياعجبا من جرأة هذا وهل قلت من عند نفسي ان من أراده الله بضر فلا شفيع له ولا منقذا وهذا قول الله سبحانه وتعالى لا قول غيره وزعم أن استدلالنا بالآية انكار منا للشفاعة وهو يعلم اننا لاننكر الشفاعة الواقعة باذن الله وانما ننكر الشفاعة الشركية التي يثبتها هو وأشباهه (قوله) يستدل من له أدنى عقل على عدم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وانقاذه لأمته بمثل هذا الدليل الباطل فوصف الخبيث كلام الله بالبطلان مما يبين جهل هذا وفجوره فلو قال الاستدلال الباطل لكان أخف اثما لان وصف الدليل بالبطلان كفر صريح لان القرآن هو الدليل قال الامام احمد الدال الله والدليل القرآن والمبين الرسول والمستدل أولو العلم هذه قواعد الاسلام والمقصود بذكر كلام احمد بيان ان الذي يوصف بالدليل هو القرآن (فقول المعترض) مثل هذا الدليل الباطل وصف للقرآن بالبطلان وانظر قوله ومعلوم ان من استوجب العذاب أو دخل فيه وشفع

فيه الملائكة والانبياء وغيرهم لاشك ان الله اراده بضر ونفعه شفاعة الشافعين فصريح كلامه هذا تكذيب لصاحب يس الذى صدقه الله فيه ويشهدله من نصوص القرآن مالا يحصى الا بكلفة فى قوله ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فيقال لهذا المتخرص انما تكون الشفاعة لمن أراد الله رحمته وان كان قد عذبه قبل ذلك فاذا أراد الله سبحانه رحمة انسان قد استوجب العذاب وقد دخل النار أخرجه منها برحمته أو أذن لمن يشاء من عباده ان يشفع فيه كما فى بعض أحاديث الشفاعة ان الله سبحانه اذا أراد رحمة من شاء ممن فى النار أذن فى الشفاعة فيه واما من أراد الله ضره فى الآخرة أو فى الدنيا فلا منقذ له ولا شفيع قال الله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير وقوله لا شك ان الله أراده بضر ونفعه شفاعة الشافعين فنقول لاشك فى بطلان هذا الكلام بل هو كفر لان حقيقة كلامه هذا ان شفاعة الشافعين منعت من نفوذ ارادة الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (قال المعترض) وأما استدلاله بقول الله سبحانه وتعالى ليس لك من الامر شىء فيقال هذه نازلة فى اناس مخصوصين من الكفار آذوا النبى ﷺ فدعا عليهم بالهلاك وكان علم الله فيهم من يؤمن فقال ليس لك من الامر شىء فهذه الآية فى اناس مخصوصين ونحن كلامنا فى نفع النبى أمته بالشفاعة فقد أخبره الله بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وأنزل له جبريل يقول الله انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك ولم يقل هنا ليس لك من الامر شىء انتهى (يزعم المعترض) ان قوله سبحانه ليس لك من الامر شىء فى اناس مخصوصين فقوله ونحن كلامنا فى نفع النبى ﷺ أمته بالشفاعة وقد أخبره بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى

ولم يقل هنا ليس لك من الامر شيء فيقال وهل فى قوله سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى معارضة لقوله ليس لك من الامر شيء فالامر كله له وحده ووعد نبيه انه يرضيه وقوله ان الآية نزلت فى أناس مخصوصين مراده ان حكمها لايتعداهم ليس مراده انهم سبب النزول فهو يقول ان غير هؤلاء المخصوصين للنبى من أمرهم شيء فيكون شريكا لله فى أمر غير هؤلاء المخصوصين ولهذا احتج بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ولم يقل هنا ليس لك من الامر شيء فجعل قوله سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى معارضا لقوله ليس لك من الامر شيء لانه عارض هذه الآية بتلك الآية وضرب كلام الله ورسوله بعضه ببعض مع انه ليس بين الآيتين مايوهم التعارض فالذى له الامر كله وعد نبيه ان يعطيه فيرضى وانما مراده بايراد الآية التلبيس والايهام للجهال والله سبحانه لم يقل ليس لك من أمر هؤلاء المخصوصين شيء وانما قال ليس لك من الامر شيء والالف واللام تفيد العموم عند الاصوليين وقال تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وقال قل ان الامر كله لله وقال بل لله الامر جميعا (قال ابن كثير) على قوله سبحانه ليس لك من الامر شيء بعد الكلام على أول الآية قال ثم اعترض بجملة دالة على ان الحكم فى الدنيا والآخرة له وحده لاشريك له فقال ليس لك من الامر شيء بل الامر كله لى كما قال فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء قال محمد بن اسحق ليس لك من الامر شيء أى ليس لك شيء من الحكم فى عبادى الا ماأمرتك به فيهم انتهى وقال تعالى ألا له الخلق والامر أورد ابن جرير عند تفسير هذه الآية حديثا مرفوعا الى النبى ﷺ قال من زعم ان الله جعل للعباد شيئا من الامر فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله ألا له

الخلق والامر فله سبحانه الامر كله وله الملك كله والحمد كله واليه يرجع الامر كله فالامر كله لله سبحانه فى الدنيا والآخرة وانما خص يوم القيامة فى نحو قوله يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله لتفرده سبحانه فى ذلك اليوم بالتصرف والحكم والتدبير فليس لأحد معه فى ذلك اليوم تصرف ولا تدبير ولا أمر ولا نهى بخلاف الحال فى الدنيا فان الله سبحانه ملك أهلها ماخولهم فيها فهم يتصرفون فيما أعطاهم بحسب اختيارهم مع كون الملك والامر فى الحقيقة لله وحده فى الدنيا والآخرة وقد قال الله سبحانه لنبيه لما قال فى شأن عمه أبى طالب لاستغفرن لك مالم انه عنك ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم أصحاب الجحيم وقال فى شأن المنافقين استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره (قال المعترض) وأما استدلاله بقوله لقرابته و بضعته لاأغنى عنكم من الله شيئا معناه اذا لم تؤمنوا بالله ورسوله لا أغنى عنكم من الله شيئا بدليل قوله أنقذوا أنفسكم من النار يعنى بالاسلام قال وفى بعض روايات الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دعا قريشا فاجتمعوا وقال يابنى كعب أنقذوا أنفسكم من النار الى أن قال فانى لاأملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الاأن تقولوا لااله الا الله انتهى هذه الجملة من قوله لاأملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لااله الا الله كل هذه الجملة التى عزاها للصحيحين كذب وافتراء منه ليس فى الصحيحين منها حرف واحد ما أجرأ هذا على الكذب على الله وعلى رسوله وعلى العلماء ثم المعارضة لكلام الله وكلام رسوله فى مواضع من أوراقه هذه ثم العجب ممن تلقى ذلك كله بالقبول ولم يفطنوا لشىء من فضائحه فيا أسفى من غلبة الجهل واستيلاء الهوى وعمى التقليد

على أكثر النفوس فانا لله وانا اليه راجعون ثم كيف يقول الأن تقولوا لااله الا الله وهو يقول لابنته وعمه وعمته والمهاجرين والانصار لا أغنى عنكم من الله شيئا لاأملك لكم من الله شيئا أليس هؤلاء هم أهل لا اله الاالله الذين هم أحق بها وأهلها قال الله تعالى فى حقهم وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وقال الله تعالى فى حق نبيه ﷺ قل لاأملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله أى لا أملك لنفسى جلب نفع ولا دفع ضر الا ما شاء الله ربى من النفع لى ودفع الضر عنى قل انى لاأملك لكم ضرا ولا رشدا ومن المعلوم يقينا أن من أراد به الله سوأ من أهل التوحيد أن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره لايملكون دفعه عنه كحال أهل الكبائر من أهل لا اله الا الله الذين يعذبون فى النار حتى تدركهم رحمة أرحم الراحمين فيأذن فى الشفاعة فيهم لمن أراد اكرامه بها ثم انظر الى قول هذا المفترى ان قوله صلى الله عليه وسلم لابنته وقرابته لاأغنى عنكم من الله شيئا اذا لم تؤمنوا بالله ورسوله ما أجرأ هذا على الافتراء على الرسول وما أقل حياءه من ارتكاب ما فيه فضيحة أوليست ابنته صلى الله عليه وسلم سيدة نساء هذه الامة أو سيدة نساء المؤمنين ثبت ذلك فى الصحيحين أو ليس المهاجرون والانصار الذين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لا أملك لكم من الله شيئا سادات الامة الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه وهذا يقول المعنى لا أملك لكم من الله شيئا اذا لم تؤمنوا بالله ورسوله وأيضا فقوله اذا لم تؤمنوا بالله ورسوله استدراك منه على الرسول ﷺ فهو ﷺ قال لا أملك لكم من الله شيئا فاطلق ولم يقيد بشرط الايمان بالله ورسوله ومفهوم الشرط الذى زاده هذا بقوله اذا لم تؤمنوا بالله ورسوله انه يملك لهم من الله شيئا اذا آمنوا بالله ورسوله

وهذا منه رد على النبي صلى الله عليه وسلم النبي يقول لسادات المؤمنين لا أملك لكم من الله شيئا وهذا يقول بل يملك من الله شيئا لمن آمن به ثم قال المعترض وكيف لا يغني عن بضعته وقرابته شيئا وقد أنزل الله عليه في حقهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال وكيف لايغني عنهم شيئا وهو لما أنزلت عليه هذه الآية جمعهم وجللهم بكسائه وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اهل هذا الا اغناء وفائدة لهم بل هو يغني عن كل من آمن به انتهى فانظر قوله كيف لا يغني عن بضعته وقرابته شيئا فهذا منه استفهام انكار فهو ينكر على النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله لا أغني عنكم من الله شيئا ويكرر الخبيث هذه الكلمة مرتين النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا أغني عنكم من الله شيئا وهذا يقول كيف لايغني عنهم من الله شيئا فهل يستريب من له أدنى نظر أن كلامه هذا رد على الرسول وانكار عليه بل العامى البليد يفهم هذا ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور وهل فى قول الله سبحانه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وفى دعائه صلى الله عليه وسلم لهم معارضة لقوله لاأغني عنكم من الله شيئا ولقول الله سبحانه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وانما مقصود هذا بتكثير الايرادات التى لا شبهة له فيها الترويج على الجهال وكثرة التسويد فى القرطاس مثل كلامه فى الشفاعة وذكر بعض ما ورد فيها مع علمه اننا لا ننكر ما ورد فى الشفاعة من الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم وانظر قوله فهل هذا الا اغناء وفائدة لهم فنقول كل خير دنيوى وأخروى حصل لامته عامة ولاهل بيته خاصة من ربهم فعلى يديه صلوات الله وسلامه عليه وهل فى هذا معارضة لقوله لا أغني عنكم من الله

شيئا ولقول الله سبحانه قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله (قال المعترض) بقي أن يقولوا قوله يا أكرم الخلق فان هذا عندهم دعاء وهو النداء ولاوجه للتكفير به لان النداء اذا كان ضارا وهو دعاء كما يزعمون لزم أن لاينادى أحد لاحى ولا ميت لان كون الشيء الواحد بالنسبة للحى يكون طاعةوللميت والغائب يكون عبادة لم يعهد هذا شرعا ولا عرفا وانما الدعاء الذى هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها وهذا لايقصده أجهل المسلمين فضلا عن أكابر العلماء والدليل على أن النداء والطلب من الاموات والغائبين ليس بعبادة بل هو مأمور به شرعا آيات وأحاديث وآثار وأقوال العلماء الكبار من الأئمة الاربعة الاخيار وهذا لفظه قوله فان هذا عندهم دعاء وهو النداء يقولهم يسمونه دعاء وليس كما يزعمون وانما هو نداء لادعاء يقول لو كان دعاء كما يزعمون لزم أن لا ينادى أحد لا حى ولا ميت وهذا الرجل حين واجهنى ادعى ذلك فقال الطلب من الاموات والغائبين لايسمى دعاء بل هو نداء و بينت له بعض الادلة وأذعن ظاهرا فى هذه المسئلة وغيرها وظننت أن مراده قطع الكلام لا الموافقة فيقال لهذا تفريقك بين الدعاء والنداء تفريقا باطلا مخالفا للكتاب والسنة واجماع الامة مع مخالفتك اللغة فقد سمى الله سبحانه سؤال عباده له دعاء ونداء قال تعالى عن نوح فدعا ربه انى مغلوب فانتصر وقال ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم فسماه فى موضع دعاء وفى موضع نداء وقال عن زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وقال فى موضع هنالك دعا زكريا ربه وقال عن أيوب وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين وقال وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات

أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وقال صلى الله عليه وسلم دعوة أخى ذى النون ما دعا بها مسلم الا استجيب له وقال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فانزل الله واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وقد سمى الله سبحانه طلب المخلوق من المخلوق واستغاثته به دعاء واستغاثة ونداء قال سبحانه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه وقال الصحابة قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق وقال تعالى ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم فهذا نص فى دعاء المسئلة وقال وان تدعوهم لا يسمعوا وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد مثلكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين قوله فادعوهم أى اطلبوا منهم وقال ان تدعوهم الى الهدى لايتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون فاراد بالدعاء هنا الطلب الذى هو ضد الصمت وقال قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون أى استعينوا بشركائكم وقال وقيل ادعوا شركاءكم أى استعينوا بهم ليخلصوكم من عذابى فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم ليخلصوكم مما أنتم فيه فدعوهم فلم يستجيبوا لهم فقال فى موضع ادعوا وفى موضع نادوا وقوله فدعوهم صريح فى الطلب منهم وقال وادعوا شهداءكم من دون الله اى استعينوا بهم وقالوا وادعوا من استطعتم من دون الله أى استعينوا بهم فسمى سبحانه استغاثتهم بهم دعاء بل قد سمى الله نعيق الراعى بالبهائم دعاء أو نداء فقال ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء فجميع ما قدمنا صريح فى أن سؤال العبد ربه يسمى دعاء ونداء وان استغاثة المخلوق بالمخلوق وطلبه منه يسمى دعاء ونداء وقد قال النحويون

النداء هو الدعاء بأحرف مخصوصة وان المنادى منصوب لفظا أو محلا بفعل محذوف فقولك يازيد أى أدعوا زيدا ومن أقسام المنادى المستغاث وهو كل من نودى ليخلص من شدة أو يعين على دفع مشقة كقول عمر يالله المسلمين أى أدعوك للمسلمين فاتضح بطلان قول هـذا فى أن طلب المخلوق من المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء فهو يقول ان الطلب من الملائكة والمسيح وأمه وعزير والجن نداء لادعاء فما أدرى مايقول فيمن طلب من العزى ومنات واللات فان قال ان الطلب منها لا يسمى دعاء بل هو نداء وان النداء لا يضر عنده افتضح عند العامة والخاصة وان قال انه يسمى دعاء قيل له نقضت أصلك حيث جعلت الطلب من هـذه الاوثان دعاء ومن غيرها نداء فهذا شيء واحد جعلته بالنسبة الى الاموات والغائبين والملائكة والمسيح وأمه وعزير والجن نداء وبالنسبة الى العزى وغيرها من الاوثان دعاءمع انه يلزمه ان لا يسميه دعاء اذا لم يسم مدعوه ربا والها لقوله ان الدعاء الذى هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها اذا تبين بطلان قول هذا فالدعاء يكون أيضا أعم من النداء لانه قد يكون بغير حرف نداء كقول نوح والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين وقول بنى اسرائيل لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين وقول السائل أشكو الى الله حاجتى أو ذنوبى أو أسأل الله كذا أو أعوذ به من كذا وكل هذا يسمى دعاء وسمى النبى ﷺ قول ذى النون لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين دعوة كما تقدم فى الحديث وفى الترمذى كان أكثر دعاء النبى ﷺ يوم عرفة لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى ﷺ يدعو عند الكرب لااله الا الله العظيم الحليم لااله الا الله رب

العرش العظيم لااله الا الله رب السموات والارض ورب العرش العظيم فهي
هذا دعاء مع انه ليس فيه التصريح بالمسؤال قال شيخ الاسلام تقي الدين
رحمه الله في الكلام على دعوة ذي النون قال فالسائل تارة يسأل بصيغة
الطلب وتارة بصيغة الخبر اما بوصف حاله أو حال المسؤل أو بهما وهو
من حسن الادب في السؤال كقول أيوب مسني الضر وأنت أرحم الراحمين
والسؤال بالحال أبلغ من جهة العلم والبيان وبالطلب أظهر من جهة القصد
والارادة فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني لان السائل يتصور مراده
فيسأله بالمطابقة فان تضمن وصف حال السائل والمسؤل فهو أكمل كقوله
اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة
من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم فيه وصف لحال نفسه المقتضي
حاجته الى المغفرة ووصف ربه أنه لا يقدر على هذا غيره وفيه التصريح
بالمطلوب ووصف الرب بما يقتضي الاجابة وهو وصفه بالمغفرة والرحمة فهذا
ونحوه أكمل الانواع انتهى قال ابن كثير وقد يكون السؤال بالاخبار عن
حال السائل واحتياجه قال موسى رب اني لما أنزلت الي من خير فقير وقد
يتقدمه مع ذلك وصف المسؤل كقول ذي النون لااله الا أنت سبحانك
اني كنت من الظالمين وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤل كقول الشاعر

ءأذكر حاجتي أم قد كفاني * حباؤك ان شيمتك الحباء
اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقول المعترض ان الشيء الواحد يكون بالنسبة الى الحي طاعة وللميت
أو الغائب عبادة لم يعهد هذا شرعا ولا عرفا يقال لهذا وهل يوجد شيء
واحد يختلف اسمه باختلاف متعلقه وهو قولك ان سؤال الميت والغائب
لايسمى دعاء بل نداء وسؤال العبد ربه يسمى دعاء ليس معك على هذا

الا مجرد دعوى باطلة قد بينا بطلانها وافتضاحها وقوله فيما بعد بل على قولكم ان الطلب نفسه عبادة يقتضي أن لا فرق بين الحياة والممات لان العبادة ممنوعة فى الحالين انتهى قوله يكون بالنسبة للحي طاعة جعل سؤال الحي طاعة وهو كاذب فى جعله طاعة لان الله سبحانه لم يأمر مخلوقا قط ان يسأل مخلوقا بل قد تواترت الاحاديث عنه ﷺ فى ذم السؤال وبايع ﷺ جماعة من الصحابة على أن لا يسألوا الناس شيئا وفى حديث ابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله أي اذا سألت فاسأل الله وحده واذا استعنت فاستعن بالله وحده وترك سؤال الناس من كمال التوحيد وهذا المفترى يقول ان الله يقول سلوا عبادي خصوصا الاموات والغائبين واستعينوا بهم ومسئلة الناس قد تكون محرمة وتكون مكروهة وتكون جائزة وتسميتها طاعة خطأ وضلال وكذا قوله ولا عرفا خطأ ان العرف لامدخل له فى العبادات وأما قوله انه اذا جاز سؤال الحي فالميت كذلك أي يجوز سؤاله بل هو يقول انه طاعة لان الله فى زعمه أمر به ويقول اذا قلتم ان الطلب عبادة يقتضي ان لا فرق بين الحياة والممات وهذه شبهة ربما تدخل فى نفوس كثير من الناس فيقال أولا ذو الفطرة السليمة وان كان جاهلا يفرق بين الطلب من الحي الحاضر مما فى يده و بين الطلب من الميت أو الغائب ولا يسوى بين الحي والميت الامن اجتالته الشياطين عن الفطرة التى فطر الله عليها أو انسان أعماه الهوى والتقليد وقد قال تعالى وما يستوى الاحياء ولا الاموات معنى ذلك انه لا يستوى المؤمن والكافر كما لا يستوى الحي والميت فلما كان معلوما عند المخاطبين ان الحي والميت لا يستويان يقول سبحانه فكذلك المؤمن والكافر فمن سوى بين الحي والميت بقوله يطلب من الميت مايطلب من الحي فقد سوى بين مافرق الله والناس بينهما حتى المجانين يفرقون بين الحي والميت فلو قصد مجنون بيت انسان ليطعمه

فوجده ميتا وأهله عنده لعدل الى الطلب من أهله الاحياء الحاضرين عنده ولم يلتفت الى الميت ومما يوضح بطلان هذه الشبهة ان الله سبحانه أمر عباده بالاستعاذة به كما فى المعوذتين ومواضع من القرآن معلومة وكذلك فى السنة عن النبى ﷺ من ذلك كثير وفعل العبد ما أمره به ربه أمر ايجاب أواستحباب عبادة له باجماع العلماء فاذا امتثل العبد أمر ربه فاستعاذ به أو بصفاته فقد عبده والاستعاذة نوع من الدعاء لان المستعيذ يلتجئ الى الله ليدفع عنه مايحذر وصوله اليه مما يكره أو ليرفع ماقدوصل اليه من ذلك كما فى الحديث أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر وهذا حقيقة الدعاء فلما كان مستقرا عند العلماء ان الاستعاذة بالله عبادة له قالوا لاتجوز الاستعاذة بمخلوق فلما كان هذا الاصل مستقرا عندهم استدلوا به على ان كلام الله غير مخلوق لانه ثبت عن النبى ﷺ الاستعاذة بكلمات الله التامات فعلا منه وقولا وهذا من حجة أهل السنة على الجهمية القائلين بخلق القرآن يقولون لوكان القرآن مخلوقا امتنعت الاستعاذة به فعلى ماذكرنا ان الاستعاذة نوع من الدعاء كما قرره شيخ الاسلام تقى الدين وهو واضح فالعلماء القائلون بامتناع الاستعاذة بالمخلوق يقولون لايجوز دعاء المخلوق لان الاستعاذة دعاء حقيقة لان المستعيذ بربه يطلب منه دفع مكروه أو رفعه وهذا حقيقة الدعاء قال شيخ الاسلام تقى الدين رحمه الله فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها نوع من الدعاء وهى ألفاظ متقاربة وسمى النبى ﷺ الاستعاذة دعاء كما فى السنن ان رجلا قال يارسول الله علمنى دعاء أدعو به قال قل اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر لسانى ومن شر قلبى ومن شر منيي وقال أبو هريرة كان رسول الله ﷺ يدعو يقول اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة رواه أبو داود باسناد صحيح

وفى السنن عن عائشة رضى الله عنها ان النبى ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات اللهم انى أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ومن شر الغناء والفقر وفى صحيح مسلم كان من دعاء النبى ﷺ اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك والمقصود بايراد هذه الاحاديث بيان ان الاستعاذة تسمى دعاء فى كلام النبى ﷺ وأصحابه فلما قال العلماء ان الاستعاذة لاتجوز بمخلوق بل هى مختصة بالله سبحانه لانها دعاء فهكذا سائر أنواع الدعاء اذا تقرر هذا فن المعلوم بالضرورة انه لوخاف انسان من عدو له فالتجأ الى حى حاضر ليجيره من عدوه لم يكن بهذا بأس عند جميع المسلمين وليس بداخل تحت قول العلماء ان الاستعاذة لاتجوز بمخلوق فهذا شىء واحد اختلف حكمه باختلاف متعلقه فبالنسبة للحى الحاضر جائز وبالنسبة لغيره ممتنع فكذلك دعاء غير الله بطلب قضاء الحاجات لايجوز لقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا ولا يدخل فى هذا النهى طلب الانسان حاجة من حى حاضر مما يدخل تحت قدرة البشر ويقال أيضا لهذا المساوى بين الحى والميت لو أعطى انسان آخر مالا وقال أودعه عند ثقة فذهب به الوكيل وأودعه عند قبر رجل صالح كالشيخ عبد القادر وقال هذا وديعة عندك لفلان واستحفظه اياه فضاع لعده الناس مجنونا جنونا لايرفع التكليف والزموه بالضمان ويلزم هذا الذى ساوى بين الحى والميت أن يقول هو مصيب فيما فعله ولاضمان عليه وربما انه لايلتزم هذا خوفا من الفضيحة عند الناس وحينئذ يقول له الوكيل فى الايداع انا مافرطت على مذهبك فى التسوية بين الحى والميت لانك تقول ماجاز طلبه من الحى جاز طلبه من الميت وأنا طلبت من الشيخ عبد القادر حفظ هذه الوديعة وهى حاجتى عنده وأنت تجوز طلب الحاجات من الاموات فكيف تخطئنى

ومما يوضح بطلان شبهته مالو خرج شخصان من بيتهما قصد أحدهما رجلا حيا غنيا وقال أشكو اليك الجوع وقصد الآخر هبل وقال ياهبل أشكو اليك الجوع هل يستوى الشخصان عند جاهل فضلا عن عالم فهذا شيء واحد يختلف حكمه باختلاف النسبة فبالنسبة الى هبل شرك وبالنسبة الى الرجل الحى الحاضر الغنى جائز لايتوقف فى هذا عاقل وعلى مذهب هذا الضال فى قوله ان الطلب من المخلوق لايسمى دعاء بل نداء فلا يضر عنده نداء الطالب من هبل ونحوه لانه يقول ان الدعاء الذى هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها فصريح كلامه انه لو استغاث بالعزى أومنات أواللات ونحوها ان ذلك لايضر لانه ليس بعبادة عنده مالم يسم من دعاه أو استغاث به ربا والها (ومن الفرق) بين الحى والميت ان الاستغاثة بالحى انما تكون فى الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية فى قتال أو ادراك عدو ونحو ذلك بحسب الاسباب الظاهرة بالفعل وأما الميت فحركته منقطعة وانما يزعم الذين يدعونهم ان نفعهم بالقوة والتأثير الذى يسميه بعضهم السر ولا يشك عاقل فى انقطاع الحركة من الميت المعهودة من الحى فان قيل هذه الاوثان المعروفة للمشركين جماد كاللات ومنات والعزى والمقبور انسان فما الجامع بينهما قلنا نصوص القرآن فى النهى عن دعوة غير الله عامة فى كل من دعا من دون الله ما لا يضر ولا ينفع قال تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقال فلا تدعوا مع الله أحدا وقال قل أندعوا من دون الله مالاينفعنا ولايضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض الآية وقال ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون قال البيضاوى على هذه الآية هذا انكار

مطلب

أن يكون أحد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لايستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا عن أن يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم وقال تعالى والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم والذم انما توجه الى دعاء من هذه صفته سواء كان بشرا أو ملكا أو صنما وهو من لاينفع من دعاه ولايضر من لم يدعه ومن دعا من لايسمع دعاءه أو ولو سمعه ما استجاب له لاستحالة الاجابة منه وهذه صفة الميت وقال سبحانه والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وهذه أيضا صفة الميت ومن المعلوم ان المشركين يعبدون الملائكة والمسيح وأمه وعزيرا والجن ويعبدون اللات وهو رجل صالح فى قول ابن عباس ومجاهد ويعبدون الاصنام المصورة فى زعمهم على صورة من يقصدونه كفعل قوم نوح فى تصويرهم على صور الذين ذكرهم الله فى سورة نوح قال تعالى فيمن يعبد الملائكة ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدن وقال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الى ان قال وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم فهذا صريح فى أنهم يعبدون الملائكة وما قاله الصحابة والتابعون فى سورة بنى اسرائيل والمراد بذلك بطلان مالو قال جاهل انهم انما يعبدون الاصنام فقط وقال ابن القيم بعد كلام سبق ومن هاهنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناما زعموا انها على صورتها فوضع الصنم انما كان فى الاصل على شكل معبود غائب فجعلوا الصنم على صورته وشكله وهيأته ليكون نائبا منابه وقائما مقامه والا فمن المعلوم ان عاقلا لاينحت خشبة أوحجرا بيده ثم يعتقد

انه اطه ومعبوده ومن أسباب عبادتها أيضا ان الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيبات وتدلهم على بعض مايخفى عليهم وهم لايشاهدون الشياطين انتهى والمقصود بيان ان عباد الاصنام انما قصدوا عبادة من صوروا الصنم على صورته من ملك أو نبي أو صالح أو كوكب فكل مافى القرآن من النهى عن دعاء غير الله والانكار على من دعاغيره يتناول كل معبود للمشركين من نبي وملك وبشر حى أو ميت أو صنم يوضح ذلك قول الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه أى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صحت دعواكم فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أى لايملكون كشف الضر بالكلية ولا تحويله من موضع الى غيره ولا تغيير صفته وقد قال المفسرون من الصحابة والتابعين ان هذه الآية نزلت فيمن يعبد الملائكة وعيسى وأمه وعزيرا وفيمن يعبد الجن وهؤلاء غائبون أحياء وفيهم من هو ميت فكل من دعا ميتا أو غائبا تناولته الآية وقال تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وأما الطلب من الحى الحاضر مما يدخل تحت قدرة البشر فليس مرادا بالنهى ولا يمنع منه قال الله تعالى فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه وقال وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر وقال الصحابة قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فمن ساوى بين الاحياء والاموات فى ذلك بقوله ماجاز طلبه من الحى جاز طلبه من الميت فقد جمع بين مافرق الله بينه وضل ضلالا بعيدا ويقال لهذا المساوى بين الاحياء والاموات من المعلوم ان أهل الدنيا يستقضون حوائج بعضهم من بعض برهم وفاجرهم مسلمهم وكافرهم وقد استعار النبي

ﷺ ادراعا من صفوان بن أمية وهو مشرك واستعان فى بعض غزواته
بناس من المشركين وما زال المسلمون يستقضون حوائجهم من المسلم والذمى
والبر والفاجر فيلزم المساوى بين الاحياء والاموات أن يساوى بين أموات
المذكورين كما كانوا فى الدنيا كذلك فان قال طلب الحاجات مختص بموتى
الصالحين فلا يجوز طلبها من موتى الكفار والفساق قيل له نقضت أصلك
حيث فرقت بين أحياء هؤلاء وأمواتهم فان قال موتى الصالحين أحياء
فى قبورهم كما زعم فهو كاذب فى ذلك لم يرد فى ذلك حديث الاما أخبر الله
عن حياة الشهداء مع ان حياتهم لاتدرك بالحس ولا بالعقل فالله سبحانه
أعلم بحقيقتها وأما سوى الشهداء غير الانبياء فلم يأت خبر عن الرسول
انهم أحياء فى قبورهم وانما هو افتراء وكذب من هذا الضال فان قال ان
صالحى الاموات ينعمون فى البرزخ قيل له وضدهم يعذبون فيدركون
العذاب كما يدرك الصالح النعيم وهذا ادراك واحساس لايعلم حقيقته الا الله
والحاصل ان من سوى بين الحى والميت فى استقضاء الحوائج فقد ضل فى عقله
ودينه ونصوص القرآن كثيرة فى ابطال هذا القول والله سبحانه جعل
أهل الدنيا فيها وخولهم ما ملكهم فيها ولا يتم أمرهم الا بمعاونة بعضهم
بعضا ولم يحجر عليهم سبحانه التعاون والتناصر فيما لايسخطه والله فى عون
العبد ما كان العبد فى عون أخيه يوضح ذلك ان دعاء الانسان للمسلمين
أو استغفاره لهم وقضاء حوائجهم ومعاونتهم عليها من الاعمال الصالحة المرغب
فيها فلو كان هذا يحصل من الميت لم يكن عمله قد انقطع وقد ثبت فى صحيح
مسلم عن النبى ﷺ قال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة
جارية أو علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعو له فدل على ان هذه
الاشياء التى يطلبها المشركون من الاموات من قضاء حوائجهم أو الدعاء لهم
ونحو ذلك التى هى أعمال صالحة من الحى قد استحال وجودها من الميت

فطلبها منه مستحيل لعجزه حسا فلا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولاضرا ولا حياة ولا نشورا فهو داخل تحت قوله ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولايضرك والنبي صلى الله عليه وسلم فرق بين الحى والميت فى الحديث المتقدم آنفا كما فرق الله بينهما فى مثل قوله وما يستوى الاحياء ولا الاموات وجميع العقلاء بل والمجانين كما قدمنا يفرقون بين الحى والميت فالميت لايستجيب لداعيه ولا يسمع دعاءه ولو فرض سماعه فهو عاجز لاينفع من دعاه كداعى الجمادات قال تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولوسمعوا ما استجابو لكم فالمتصف بعدم سماع الدعاء وعدم الاستجابة أو المتصف باحدهما ممتنع دعاءه شرعا وعقلا تتناوله هذه الآيات ونحوها من آى القرآن فان قيل وردت الآثار بسماع الميت قلنا لم تدل على انه يسمع كل كلام قال شيخ الاسلام تقى الدين رحمه الله ووردت الآثار بأن الميت يسمع لكن لاتدل على انه يسمع كل كلام قال ابن عبد البر صح عن النبى ﷺ انه قال مامن مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام فهذا وغيره يدل على ان روح الميت ليست دائما فى قبره وان لها اتصالا به لايعلم حقيقته الا الله واعتبر هذا بسرعة نزول الملك وروح النائم وشعاع الشمس ونحوه وقد أخبر النبى ﷺ عن صفة حياة الشهداء بما فى صحيح مسلم عن ابن مسعود لما سئل عن ذلك فقال انا سألنا عن ذلك فقال أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش فتسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل الحديث ففسر حياتهم بذلك وثبت فى الحديث الذى رواه مالك فى الموطأ عن كعب بن مالك ان النبى ﷺ قال انما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر

الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه ورواه الترمذى وصححه فهذا يدل على ان روح المؤمن فى الجنة وتدل الآثار على ان لها اتصالا به فى القبر لايعلم حقيقته الا الله قوله يعلق روى بفتح اللام والضم والمعنى واحد وهو الاكل والرعى يقول يأكل من ثمار الجنة ويرعى ويسرح بين أشجارها وسيأتى لذلك زيادة بيان ان شاء الله وانما المقصود هنا بيان بطلان قوله فى تسويته بين الحى والميت وتجويزه الطلب من الميت مايطلب من الحى وان ذلك لايسمى دعاء قال وانما الدعاء الذى هو عبادة فهو اتخاذ غيرالله ربا والها وقد بينا فيما تقدم بطلان قوله ان ذلك لايسمى دعاء وأما كونه يسمى عبادة فقد تقدم مايدل على ذلك وسيأتى لذلك زيادة ايضاح ان شاء الله تعالى ومما يوضح ذلك معرفة حد العبادة فى الشرع وانها كل ماأمر الله به ورسوله أمر ايجاب أو استحباب فهو عبادة وبعض العلماء يقول العبادة هى الطاعة فيتناول فعل المأمور وترك المحظور ومما أمر الله به سبحانه دعاؤه وسؤاله قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه الله لايحب المعتدين الى قوله وادعوه خوفا وطمعا وقال ربكم ادعونى استجب لكم وقال انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وقال واسألوا الله من فضله وقال فابتغوا عند الله الرزق أي لاعند غيره لان تقديم المعمول يفيد الاختصاص عند البيانيين وفى حديث نزول الرب الى السماء الدنيا من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فاغفر له وفى السنة من ذلك مالا يحصى فاذا امتثل العبد أمر ربه فدعاه مخلصا صار ذلك عبادة منه لربه فاذا دعا غيره فقد عبد ذلك الغير وفى السنن عن النبى ﷺ الدعاء هو العبادة وفى الحديث الآخر الدعاء مخ العبادة فسمى النبى ﷺ الدعاء عبادة

فالدعاء فى نفسه عبادة فكل مدعو معبود وما أدرى مايقول هذا الرجل
فى دعاء العبد ربه واستغاثته به هل هو عبادة أم لا فان قال ليس بعبادة
فهذا مكابرة يعرفه كل عاقل ومخالفة للكتاب والسنة واجماع الامة وان أقر
انه عبادة من العبد لربه قيل له هل تجد شيئا واحدا يكون بالنسبة الى الله
عبادة وغير عبادة بالنسبة الى غيره فيظهر حينئذ بطلان شبهته التى اعتمدها
فى قوله انه لايوجد شىء واحد يكون بالنسبة للحى طاعة وللميت عبادة وان
هذا لايوجد شرعا ولا عرفا وهذا الرجل لما قرر ان الطلب من الاموات
والغائبين والاستغاثة بهم جائز بل يقول هو قربة كما يأتى فى احتجاجه
بالآية ثم قال وانما الدعاء الذى هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها فحصر
الدعاء الذى هو عبادة فى تسمية المدعو ربا والها لانه يقول ان مجرد
الطلب لايضر مقتضى اطلاقه وان كان المطلوب منه صنما أو شجرا أو حجرا
وان طلب منه مغفرة الذنوب وهداية القلوب وانزال الغيث وشفاء المرضى
فان هذا لايضر عنده اذ لم يسمه أو يعتقده ربا والها وهذا الرجل لما اجتمع
بى قبل تسويده هذا بنحو ثمان سنين ومعه ورقة نقل فيها عبارات لشيخ
الاسلام رحمه الله يشبه بها على بعض الناس فأحضرته وبحثته واذا هو
فى هذا الاصل العظيم جاهل جهلا مركبا ومعاند واحدى العلتين فى المرء
تهلكه وقلت له أخبرنى ماحقيقة هذا الشرك الذى لايغفر وصاحبه مخلد
فى النار فقال الشرك السجود لغير الله لاغير فأوردت عليه بعض الادلة
فبهت وأحب قطع الكلام بالموافقة ظاهرا وكتبت على ورقته التى معه
أوراقا سماها بعض الطلبة بالانتصار وما زال من ذلك الوقت يدأب ويبحث
فى تحصيل ماجمعه فى هذه الاوراق التى اطلعنا عليها وقوله ان أجهل المسلمين
لايسمى غير الله ربا والها ولا يقصد ذلك فيقال التسمية لاحكم لها ولا

تتغير حقيقة الشيء بتغيير الاسم كما جاء عنه ﷺ انه يأتي ناس من أمتي يسمون الخمر بغير اسمها وكذا من سمى الزنا نكاحا فالتسمية لاتزيل الاسم ولا الحكم ومن عامل معاملة ربوية فهو مراب وان لم يسمه ربا فكذا من ارتكب شيئا من الامور الشركية فهو مشرك وان سمى ذلك توسلا أو تشفعا ونحوه والشيطان لما علم ان النفوس تنفر من تسمية مايفعله المشركون تألها أخرجه فى قالب آخر تقبله النفوس ومما يفضح هذا فى قوله ان طلب المخلوق من المخلوق لايسمى دعاء بل هو نداء وانما الدعاء الذى هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها فعلى قوله ان من نادى ابليس وطلب منه قضاء حاجاته وكشف كرباته مع كونه لايسميه ربا ولا الها بل يقول أنا أبغضه ولكن أطلب منه حوائجى واستنصر به على عدوى لانه يقوى على مالا يقوى عليه البشر ولا يضرنى ذلك على مذهب الشيخ داود لانى لاأسمى الشيطان ربا ولا الها ولاأعتقد ذلك فيه فعلى مذهبه الباطل ان هذا جائز يحقق ذلك ان كل أحد يعترف بان عبادة غير الله شرك وقد قدمنا تعريف العبادة فمن جعل نوعا من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك وان كان لايظنه شركا ولا تألها وسماه بأى اسم شاء فالمشرك مشرك شاء أم أبى كما ان المرابى مراب شاء أم أبى يوضح ذلك ان من أطاع مخلوقا فى تحليل ماحرم الله أو تحريم ماأحل الله فقد اتخذه ربا والها من دون الله قال الله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وماأمروا الاليعبدوا الها واحدا لااله الاهو سبحانه عما يشركون وروى الامام أحمد والترمذى وغيرهما ان عدى بن حاتم قدم على النبى ﷺ وكان قد تنصر فى الجاهلية فسمع النبى ﷺ يقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الآية فقال للنبى ﷺ انهم لم

يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان فى تفسير هذه الآيه انهم اتبعوهم فيما حللوا وقال الربيع بن أنس قلت لأبى العالية كيف كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل قال كانت الربوبية انهم وجدوا فى كتاب الله ماأمروا به ومانهوا عنه فقالوا لن نسبق أحبارنا بشيء فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وقال أبو البختري أما انهم لم يصلوا لهم ولو أمروهم ان يعبدوهم ماأطاعوهم ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية انتهى فهؤلاء الذين أخبر الله عنهم فى هذه الآية لم يسموا أحبارهم ورهبانهم أربابا ولا آلهة ولا كانوا يظنون ان فعلهم هذا معهم عبادة لهم ولهذا قال عدى انهم لم يعبدوهم والشيء تابع لحقيقته لالاسمه ولا لاعتقاد فاعله فهؤلاء كانوا يعتقدون ان طاعتهم لهم فى ذلك ليس بعبادة لهم فلم يكن ذلك عذرا لهم ولامزيلا لاسم فعلهم ولالحقيقته وحكمه فكذلك مايفعله عباد القبور فى سؤالهم من المقبورين قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالنذور والذبائح عبادة منهم للمقبورين وان كانوا لايسمونه ولايظنونه عبادة ويوضح ذلك أيضا ماروى الترمذي وصححه عن أبى واقد الليثى قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ انها السنن قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتتبعن سنن من كان قبلكم فهؤلاء لقرب عهدهم

بالكفر ما كانوا يظنون ان الذى طلبوه من التأله لغير الله لانهم يقولون لااله الا الله و يعرفون معناها وخفى عليهم ان ذلك الذى طلبوه مما تنفيه لااله الا الله فلم يكن ظنهم بمغير الحقيقة هذا الامر وحكمه ومن له معرفة بما بعث الله به رسوله علم ان ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم أعظم وأكبر من فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وأقبح من الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال ابن القيم رحمه الله فاذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الاسلحة والعكوف عليها اتخاذ اله مع الله مع انهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده فاى نسبة للفتنة بشجرة الى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون وقد قال الله تعالى ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب الى قوله مسلمون روى ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظى حين اجتمعت اليهود والنصارى من أهل نجران عند النبى صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد يا محمد منا أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم وقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرئيس أو تريد ذلك منا يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو ان نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى فانزل الله فى ذلك من قوله ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله الى قوله مسلمون فبين سبحانه وتعالى ان من عبد الملائكة والنبيين فقد اتخذهم أربابا من دون الله وانه يكفر بذلك وان لم يعتقده ربوبية أو يسمه ربا وان من أمر بعبادتهم فقد أمر باتخاذهم أربابا من دون الله فكيف بمن هو دونهم وهذا الذى

يقول ان الله أمر عباده المؤمنين أن يطلبوا حوائجهم من الاموات والغائبين
ويقول بجواز الذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادات غير السجود
لهم لانه حين كلمته قال ان الممنوع منه السجود للميت فقط فحقيقة قوله
ان الله سبحانه أمر عباده أن يتخذوا أهل القبور أربابا من دون الله
وان تبرأ من ذلك فهو حقيقة دعواه قوله والدليل على ان النداء والطلب
من الاموات والغائبين ليس بعبادة بل هو مأمور به شرعا آيات وأحاديث
وآثار قال الدليل الاول قول الله تعالى ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
اليه الوسيلة فالعجب من هذا الملحد لم يقتصر على الجواز بل ادعى ان الله
أمر عباده المؤمنين بذلك ولعله يرى ان الامر فيما فهمه من الآية للوجوب
لان الاصل فى الامر الوجوب مالم يوجد دليل يصرفه الى الاستحباب
وبكل حال فهو يقول ان الله أمر عباده المؤمنين أن يفزعوا الى الاموات
فى قضاء مآربهم وكشف شدائدهم سواء قال ان الامر للايجاب أو
للاستحباب ومقتضى كلامه العموم فى جميع الاموات صالحهم وطالحهم ماأجرأ
هذا على الكذب على الله والالحاد فى آيات الله بوضعهما على غير ماأراد
الله قال الله تعالى ان الذين يلحدون فى آياتنا لايخفون علينا قال ابن عباس
يلحدون فى آياتنا يضعون الكلام على غير مواضعه قال الله تعالى فمن
أظلم ممن افترى على الله الكذب ليضل الناس بغير علم فعلى قول هذا ان
الله يحب من عباده أن يطلبوا حوائجهم من الاموات والغائبين وانه ينبغى
الاكثار من ذلك والالحاح فى الطلب منهم لان الله يحب الملحين فى الدعاء
ويقتضى أيضا أن يستكثر الانسان من المدعوين المطلوبين ويعلق قلبه
ورجاءه بالكثير منهم بحيث يقول لو لم يجبنى بعض اجابنى الآخرون فيصير
الاستكثار أوثق عنده واحب الى الله فى زعم هذا الضال فياسبحان الله
أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وظاهر كلامه فى اطلاقه انه

يطلب من الاموات والغائبين كل شيء وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله من جوز أن يطلب من المخلوق كل ما يطلب من الخالق من كشف الشدائد فكفره شر من كفر عباد الاصنام فانهم لايطلبون منها كل ما يطلب من الله كما قال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون فبين سبحانه انه اذا جاء عذاب الله أو أتت الساعة لايطلبون الا الله فى كشف الشدائد وجلب الفوائد وقال واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه قال وقد وقع فى كثير من ذلك من وقع من العامة وغيرهم انتهى وافتراء هذا الرجل على الله أعظم من افتراء الذين أخبر الله عنهم بقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لايأمر بالفحشاء نزلت هذه الآية فى الذين يطوفون بالبيت عراة اتبعوا فى ذلك آباءهم ويزعمون انه مستند الى أمر الله فقال تعالى مكذبا لهم ان الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون وهذا يقول ان الله أمر بدعاء الاموات والغائبين ووجدنا الناس على هذا غيركم وهذا الامر الذى ادعى ان الله أمر به مما بعث الله الرسل من أولهم الى آخرهم ينهون عنه قال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أن لااله الا أنا فاعبدون والآيات فى هذا كثيرة معلومة والدعاء من أجل العبادات كما فى الحديث المرفوع الدعاء مخ العبادة قالوا معناه خالص العبادة لان الداعى انما يدعو عند انقطاع أمله مما سوى الله وهذا حقيقة التوحيد والاخلاص وفى الحديث الآخر ان الدعاء هو العبادة وفى الحديث الآخر ان الله يحب الملحين فى الدعاء وفى حديث آخر من لم يسأل الله يغضب عليه وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء

الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له فذكر أولا لفظ الدعاء ثم السؤال ثم الاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع فعطف السؤال والاستغفار على الدعاء من عطف الخاص على العام الذى يتناولهما وغيرهما قاله شيخ الاسلام تقى الدين رحمه الله تعالى والله سبحانه أمر بدعائه فى كتابه فى مواضع والنبى ﷺ كان يكثر من دعاء الله واستغفاره وأمر بذلك فى أحاديث كثيرة وقال تعالى اياك نعبد واياك نستعين قال ابن عباس اياك نعبد أى اياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك واياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها وقال قتادة يأمركم ربكم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم كلها وتقديم المعمول فى الكلمتين يفيد الحصر والاختصاص عند البيانيين وجميع المفسرين قال القارى لما ذكر الحقيق بالحمد ووصفه بصفات عظام يتميز بها عن سائر المخلوقين وتعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات خوطب الموصوف بتلك الصفات فقيل اياك يامن هذه صفاته نعبد واياك نستعين لا غيرك قال ابن القيم رحمه الله تعالى وسر الخلق والامر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى الى هاتين الكلمتين وعليهما مدار العبودية والتوحيد حتى قيل أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها فى التوراة والانجيل والقرآن وجمع معانى هذه الكتب الثلاثة فى القرآن وجمع معانى القرآن فى المفصل وجمع معانى المفصل فى الفاتحة وجمع معانى الفاتحة فى اياك نعبد واياك نستعين وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب و بين عبده نصفين فنصفها له وهو اياك نعبد ونصفها للعبد وهو اياك نستعين انتهى فالله سبحانه فرض على العباد أن يعبدوه وحده وأن يستعينوا به وحده وهذا الملحد المفترى على الله الكذب يقول ان الله يأمركم أن تستعينوا بالاموات والغائبين وترغبوا

اليهم فى مهماتكم ماأعظم هذه المحادة لله وقد قال تعالى والى ربك فارغب أى ارغب اليـه لا الى غـيره وقال النبى ﷺ اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله وقد قررنا فيما تقدم تعريف العبادة وان كل ما أمر الله به ورسوله أمر ايجاب أو استحباب فهو عبادة فاذا دعوت الله فقد عبدته فاذا دعوت غيره من ميت أو غائب أو حجر أو شجر فقد عبدت ذلك الغير فاذا سجدت لله فقدعبدته فاذا سجدت لغيره صرت عابدا لذلك الغير فاذا ذبحت لله فقد عبدته فاذا ذبحت لغيره صرت عابدا له وهكذا سائر العبادات هذا مع ان نصوص القرآن فى النهى عن دعاء غير الله وذم من فعل ذلك والانكار عليه أكثر من النهى عن خاصية السجود لغيره كما هو معلوم عند الخاصة والعامة قال شيخ الاسلام تقى الدين رحمه الله فى الكلام على دعوة ذى النون لفظ الدعاء والدعوة فى القرآن يتناول دعاء العبادة ودعاء المسئلة وفسر قوله سبحانه ادعونى استجب لكم بهذا وهذا وقال ابن القيم فى بدائع الفوائد بعد آيات ذكرها وهذا فى القرآن كثير يبين ان المعبود لابد أن يكون مالكا للنفع والضر فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسئلة ويدعى رجاء وخوفا دعاء العبادة فاعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسئلة متضمن لدعاء العبادة الى ان قال وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك فى معنييه كليهما ولا استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه بل هـذا استعمال فى حقيقته الواحـدة المتضمنة للامرين جميعا انتهى فعلى هذا فنهيه سبحانه عن دعاء غيره نص فى دعاء العبادة ودعاء المسئلة حقيقة فهو نهى عن كل واحد منهما حقيقة قال تعالى والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير فهذا يتناول نوعى الدعاء ثم قال ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم فهذا صريح فى دعاء المسئلة ولهذا قال ولو سمعوا ما استجابوا لكم ومن لا يسمع دعاء من دعاه ليس بأهل لان يدعى

ومن لايستجيب له لوسمعه لايستحق أن يدعى وهذه حال الميت لايسمع
دعاء من دعاه ولو فرض انه يسمعه لم يستجب له لعجزه فقوله سبحانه
والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير الآيتين تتناول كل مايدعوه
المشركون من دون الله ومعلوم انهم يدعون الملائكة والمسيح وأمه وعزيرا
والجن واللات وغيرهم و بعض من يدعونه ميت يدخل فى العموم فان قيل
ان الميت يسمع قلنا كما تقدم انه لم يثبت أنه يسمع كل كلام فقوله ﷺ
مامن مسلم يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام وكذلك
الحديث الذى تقدم مامن مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم
عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام يدل على أن رد الروح
يحصل حين السلام وقال الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا الى قوله محذورا قال شيخ
الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى فى الكلام على هذه الآية
لما ذكر ان من السلف من ذكر ان المراد بهم الملائكة ومنهم من ذكر
معهم الانس كالمسيح وأمه وعزير ومنهم من ذكر انهم من الجن قال ان
السلف يذكرون جنس المراد من الآية على التمثيل كما يقول الترجمان لمن
سأله عن لفظ الخبز فيريه رغيفا والآية هنا قصدها التعميم لكل مايدعى
من دون الله فكل من دعا ميتا أو غائبا من الانبياء والصالحين سواء كان
بلفظ الاستغاثة أوغيرها فقد تناولته هذه الآية كما هى تتناول من دعا الملائكة
والجن ومعلوم أن هؤلاء يكونون وسائط فيما يقدره الله بافعالهم ومع هذا
فقد نهى عن دعائهم و بين انهم لايملكون كشف الضر عن الداعين ولا
تحويلا لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع الى موضع ومن حال الى
حال كتغيير صفته أو قدره ولهذا قال ولا تحويلا فذكر نكرة تعم أنواع
التحويل وقال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن

فزادوهم رهقا كان أحدهم اذا نزل واديا قال أعوذ بعظيم هذا الوادى من سفهائه فقالت الجن الانس تستعيذ بنا فازدادوا رهقا وقد نص الائمة كاحمد وغيره على أنه لاتجوز الاستعاذة بمخلوق وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق لما ثبت عنه ﷺ انه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك فاذا كان لايجوز ذلك فان لايجوز أن يقال أنت خير معاذ يستعاذ به أولى فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب وهى ألفاظ متقاربة انتهى وقد قدمنا بعض الاحاديث التى فيها تسمية الاستعاذة دعاء ولهذا كان الائمة المصنفون يدخلون أحاديث الاستغاثة فى أثناء كتاب الدعوات كصاحبى الصحيحين وغيرهما لان الاستعاذة عندهم دعاء حقيقة وهذا ظاهر فقول الانسان أعوذ بفلان من كذا أو أسأله أن يدفع عنى أو يرفع عنى كذا فهو فى الحالتين سائل طالب داع فانظر الى قوله رحمه الله فكل من دعا ميتا أو غائبا تناولته هذه الآية وهو ظاهر لان هؤلاء غائبون كالملائكة والمسيح وغائب الملائكة أقرب من غائب البشر ويقدرون على مالايقدر عليه البشر وهم يكونون وسائط فيما يقدره الله بافعالهم وممن أريد بالآية من هو ميت كريم وعزير ومن المعلوم يقينا ان أموات البشر وغائبهم لايملكون كشف الضر عمن دعاهم ولا تحويله من حال الى حال فالآية تتناولهم قطعا فيقال لداعيهم أدعهم فانهم لايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وقال ابن القيم فى المدارج ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستعانة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له الى الله فيها والميت محتاج لمن يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبى ﷺ اذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم

مطلب

ونسأل الله لنا العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد وسموا قصدها حجا فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله الى التنقص بالاموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئا بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وانهم أمروهم به وانهم يوالونهم عليه وهؤلاء أعداء الرسل وأهل التوحيد فى كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم وما نجا من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيد الله وعادى المشركين فى الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده فجرد حبه وخوفه لله ورجاه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانته بالله اذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله واذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله وقال فى موضع آخر وهكذا قول عباد المسيح للنبى ﷺ لما قال لهم ان المسيح عبد قالوا تنقصت المسيح وعبته وهكذا اشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثانا تعبد ومساجد وأمر بزيارتها على الوجه الذى أذن الله فيه ورسوله قالوا تنقصت أصحابها فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم حتى كأنهم قد تواصوا به ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وقد قطع الله سبحانه فى كتابه الاسباب التى يتعلق بها المشركون جميعا يعلم من تأمله وعرفه ان من اتخذ من دون الله وليا أو شفيعا فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون فقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا

لمن أذن له فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع والنفع لا يكون الا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الاربع اما مالك لما يريد عابده منه فان لم يكن مالكا كان شريكا فان لم يكن شريكا كان معينا له وظهيرا فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده فنفى سبحانه المراتب الاربع نفيا مرتبا منتقلا من الاعلى الى ما دونه فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التى يظنها المشرك واثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهى الشفاعة باذنه وكفى بهذه الآية نورا وبرهانا ونجاة وتجريدا للتوحيد وقطعا لاصول الشرك وموارده لمن عقلها والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه فى نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذى يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمر الله ان كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم وشر منهم ودونهم وتناول القرآن لهم كتناول اولئك ولكن الامر كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لم يعرف الجاهلية وهذا لانه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه الذى كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه فتنقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة ويكفر الانسان بمحض الايمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حى يرى ذلك عيانا والله المستعان هذا كلامه رحمه الله فى زمانه فكيف لو أدرك هذا الزمان فانا لله وانا اليه راجعون وقال ابن القيم أيضا قال شيخنا وهذه الامور المبتدعة عند القبور مراتب أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت

حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس قال وهؤلاء من جنس
عباد الاصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان فى صورة الميت أو الغائب كما
يتمثل لعباد الاصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب
يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل لهم الشيطان أحيانا وقد يخاطبه ببعض
الامور الغائبة وكذا السجود للقبر والتمسح به وتقبيله المرتبة الثانية ان
يسأل الله به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين
الثالثة أنه يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء
فى المساجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لاجل طلب حوائجه فهذا أيضا
من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهى محرمة وما علمت فى ذلك نزاعا
بين أئمة الدين وان كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم
قبر فلان الترياق المجرب والحكاية المنقولة عن الشافعى انه كان يقصد الدعاء
عند قبر أبى حنيفة من الكذب الظاهر انتهى قال ابن القيم ورأيت لابى الوفاء
ابن عقيل فى ذلك فصلا حسنا فذكرته بلفظه قال لما صعبت التكاليف على
الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت
عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الاوضاع
مثل تعظيم القبور واكرامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقبيلها
وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاى افعل بى كذا
وكذا وأخذ تربتها تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء
الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى المقصود منه وقال
شيخ الاسلام وقد سئل عن رجلين تنازعا فقال أحدهما لابد لنا من واسطة
بيننا وبين الله فانا لا نقدر أن نصل اليه الا بذلك فاجاب رحمه الله تعالى
بقوله ان أراد بذلك انه لابد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق فان
الخلق لا يعلمون مايحبه الله ويرضاه وما يأمر به وماينهى عنه الا بواسطة

مطلب

الرسل الذين أرسلهم الله الى عباده وهذا مما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فانهم يثبتون الوسائط بين الله و بين عباده وهم الرسل الذين يبلغون عن الله أوامره ونواهيه قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر باجماع أهل الملل وان أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم و بين الله فى جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكونوا واسطة فى رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ودفع المضار فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكربات وسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين الى أن قال فمن أثبت وسائط بين الله و بين خلقه كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه وان الله انما يهدى عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعنى ان الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما ان الوسائط يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لان طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب الى الملك من الطالب فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فان تاب والا قتل وهؤلاء مشبهون شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أندادا وفى القرآن من الرد على هؤلاء مالا تتسع له هذه الفتوى فان هذا دين المشركين عباد الاوثان كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين وانها وسائل يتقربون بها الى الله انتهى ملخصا وقال شيخ الاسلام رحمه الله فى الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج قال فاذا كان

فى زمان النبى ﷺ من قد مرق من الاسلام مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام فى هذا الزمان قد يمرق أيضا وذلك بأمور منها الغلو الذى ذمه الله كالغلو فى بعض المشايخ كالشيخ عدى بل الغلو فى على ابن أبى طالب بل الغلو فى المسيح فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يدعوه من دون الله بأن يقول ياسيدى فلان أغثنى أو اجبرنى أو توكلت عليك أو أنا فى حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه اله آخر والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين أو صورهم لم يكونوا يقولون انها تخلق وترزق وانما كانوا يدعونهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى أحد من دون الله لادعاء عبادة ولادعاء استعانة انتهى ونصوص القرآن كثيرة مصرحة بان المشركين فى الشدائد ينسون آلهتهم من الملائكة والبشر وغيرهم ويخلصون الدعاء لله وحده كما قال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون ماتشركون وقال واذا مس الانسان الضر دعا ربه منيبا اليه الآية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه والآيات فى ذلك كثيرة معلومة فالله سبحانه رضى اخلاصهم فى هذه الاحوال ومقتضى قول هذا المفترى ان الله سبحانه أمر بالطلب من الاموات وغيرهم وان الله يحبه ويرضاه ان يكون عدم اخلاص هؤلاء المشركين فى الشدائد أصوب وان الاولى بهم الاستمرار على الطلب من الملائكة والمسيح وعزير وغيرهم لان ذلك من الوسيلة التى أمر الله بها فى زعم هذا الضال وكفى بهذا فضيحة له ومما يزيد

بماقررناه وضوحا ان الله سبحانه سمى الدعاء فى كتابه دينا قال سبحانه فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين والمراد بالدين فى هذه الآيات الدعاء عند جميع المفسرين وهو ظاهر مفسر فى مثل قوله لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وقال واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وفى قوله أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية أى سرا وعلانية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين أى يقولون لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وذكر سبحانه الدين فى هذه الآيات معرفا بالالف واللام وهو الدعاء وقال وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وقال فادعوا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وقال فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص وقال قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين قل الله اعبد مخلصا له دينى فلما سمى الله سبحانه الدعاء دينا وأمر باخلاص الدين له وضد الاخلاص الشرك ومن جملة الدين الدعاء فمن جعل شيئا من الدين لغير الله فقد أشرك وقد قال تعالى وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله أى وحتى يكون الدين كله لله فمتى كان شىء من الدين لغير الله فالعصمة منتفية ومن أنواع الدين الدعاء بنص القرآن فان قيل مامعنى الوسيلة فى قول الله سبحانه وابتغوا اليه الوسيلة قيل المراد بالوسيلة التقرب اليه سبحانه بفعل ماأمر به وترك مانهى عنه

قال البغوى الوسيلة القربة وقال البيضاوى أى ماتتوسلون به الى ثوابه والزلفى لديه من فعل الطاعات وترك المعاصى وقال ابن كثير المعنى تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه قال وهذا اجماع من المفسرين وكذلك قوله فى الآية الاخرى يبتغون الى ربهم الوسيلة قال البغوى الوسيلة القربة وقيل الوسيلة كل مايتقرب به الى الله وقال البيضاوى يبتغون الى ربهم الوسيلة بالطاعة أى هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب بدل من واو يبتغون أى يبتغى من هو أقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ونحو ذلك قال ابن كثير وقيل يحرصون أيهم يكون أقرب الى الله وذلك بطاعته وازدياد الخير وقول البغوى ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به هذا لفظ البغوى لابن عباس وضل الناقل فى عزوه الى ابن عباس فان كان معنى هذه الكلمة كما قال البغوى فالمراد بذلك مايفعله الصحابة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته من طلبهم دعاءه لهم واستسقائهم به فى أحاديث كثيرة وما فعله عمر بعد موته صلى الله عليه وسلم من استسقائه بالعباس فى قوله اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا وكذلك فعل معاوية مع يزيد بن الاسود الجرشى لما استسقى قال اللهم انا نتشفع اليك بخيارنا يزيد يايزيد ارفع يديك الى الله فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا فهذا من الوسيلة قال شيخ الاسلام تقى الدين أما التوسل والتوجه الى الله وسؤاله بالاعمال الصالحة التى أمرنا بها كدعاء الثلاثة الذين أووا الى الغار باعمالهم الصالحة وبدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لانزاع فيه بل هو من الوسيلة التى أمر الله بها فى قوله وابتغوا اليه الوسيلة وقوله يبتغون الى ربهم الوسيلة فان ابتغاء الوسيلة اليه هو طلب مايتوسل به أى يتوصل به ويتقرب اليه به سبحانه سواء كان على وجه العبادة والطاعة

وامتثال الامر أو كان على وجه السؤال والاستعاذة به رغبة اليه فى جلب
المنافع ودفع المضار ومن ذلك سؤاله باسمائه وصفاته كقول أسألك بان
لك الحمد لااله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام
واستدل المعترض بقول الله سبحانه لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا قال فقد أخبر ان الله ملك المؤمنين الشفاعة فطلبها ممن يملكها
بتمليك الله له لامانع منه كمن طلب المال وغيره ممن ملكه الله اياه ومراد
المنادى له ﷺ والمتوسل به انما هو الشفاعة انتهى قوله ان الله ملك
المؤمنين الشفاعة كما ملك أهل الدنيا المال وغيره فحقيقة هذا القياس ان
الشفعاء يشفعون عنده بغير اذنه وفيمن لايرضى ان يشفع فيه كما أن أهل
الدنيا يتصرفون فيما أعطاهم الله بغير اذنه سبحانه وقد يتصرفون تصرفا
لايرضاه الله يتصرفون بحسب اختيارهم لا بأمر الله لهم واذنه فقد يعطون
من لايرضى الله اعطاءه ويمنعون من يحب الله اعطاءه بل يعطون من نهى
الله عن اعطائه ويمنعون من أمر الله باعطائه ويقربون اليهم من أمر الله
بابعاده ويبعدون من أمر الله بتقريبه وليس كذلك حال الشفعاء عند
الله ونصوص القرآن صريحة فى أنه لايشفع عنده أحد الا بوجود أمرين
اذنه للشافع ورضائه عن المشفوع فيه فمتى فقد الامران أو احدهما لم يوجد
شفاعة قال تعالى وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من
بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال من ذالذى يشفع عنده الا باذنه
وقال مامن شفيع الا من بعد اذنه يومئذ لاتنفع الشفاعة عنده الامن أذن له
الرحمن ورضى له قولا وقال أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا
لايملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض
ثم اليه ترجعون وقياس هذا أقبح من قياس المشركين بالشفعاء عند

الملوك فالمشركون جعلوا شفعاءهم بمنزلة خواص الملوك عند الملوك يشفعون
عندهم بغير اذنهم وفيمن لايرضونه وهذه هي الشفاعة الشركية التي نفاها
القرآن وأما قياس هـذا الجاهل الشفاعة بحال أهـل الدنيا وملكهم فيها
فالذي يسأل أهل الدنيا يسألهم مما في أيديهم يقول أعطوني مما في أيديكم
لايقول انهم يشفعون له عند الله ولا يقول اشفعوا لي فتبين بطلان قياس
هذا وضلاله قال شيخ الاسلام تقي الدين بعد كلام سبق ولهذا كانوا
في الشفاعة على ثلاثة أقسام فالمشركون أثبتوا الشفاعة التي هي شرك كشفاعة
المخلوق عند المخلوق كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك الى ذلك
فيسألونهم بغير اذنهم ويجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم اليهم فالذين أثبتوا
مثل هذه الشفاعة عند الله مشركون كفار لان الله لايشفع عنده أحد
الا باذنه ولا يحتاج الى أحد من خلقه بل من رحمته واحسانه اجابة دعاء
الشافع ولهـذا قال مالكم من دونه من ولي ولا شفيع الى أن قال وأما
الخوارج والمعتزلة فانهم أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته
وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ ولاجماع
خير القرون القسم الثالث أهل السنة والجماعة وهم سلف الامة وأئمتها ومن
تبعهم باحسان اثبتوا ما أثبته الله في كتابه وسنة رسوله ونفوا ما نفاه فالشفاعة
التي أثبتوها هي الشفاعة التي جاءت بها الاحاديث وأما الشفاعة التي نفاها
القرآن كما عكسه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الامة فينفيها
أهل العلم والايمان مثل أنهم يطلبون من الانبياء والصالحين والغائبين والميتين
قضاء حوائجهم ويقولون انهم ان أرادوا ذلك قضوها ويقولون انهم عند
الله كخواص الملوك عند الملوك يشفعون بغير اذن الملوك ولهم على الملوك
ادلال يقضون به حوائجهم فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك والله سبحانه

قد نزه نفسه عن ذلك انتهى (وقوله) ان الله ملك المؤمنين الشفاعة مستدلا بقوله سبحانه لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون بناء على أحدقولى المفسرين ان الاستثناء فى الآيتين متصل فاطلاق القول بان الله ملك المؤمنين الشفاعة خطأ بل الشفاعة كلها لله وحده قل لله الشفاعة جميعا وأثبت سبحانه الشفاعة باذنه وأخبر النبى ﷺ ان الانبياء يشفعون والصالحين يشفعون وعلى هذا فمن اذن الله له فى الشفاعة يصح أن يقال انه ملك ماأذن له فيه فقط لامالم يؤذن له فيه فهو تمليك معلق على الاذن والرضا لاتمليك مطلق كما يزعمه هذا الضال وسيد الشفعاء صلوات الله وسلامه عليه لايشفع حتى يقال له ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع قال الله تعالى لاكرم الخلق عليه ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لما قال ﷺ فى حق عمه لأستغفرن لك ما لم انه عنك وقال فى حق المنافقين استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقوله ان مراد المنادى له ﷺ والمتوسل به انما هو بالشفاعة فقد تقدم جواب ذلك وهو ان هذا مراد المشركين ممن قصدوه كما أخبر الله عنهم بذلك كقوله عنهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى لم يقولوا ان أحدا من الملائكة أو المسيح أو عزيرا أو الجن يستقلون بقضاء حوائجهم وانما يقولون انهم يشفعون لنا عند الله فى قضاء حوائجنا وقوله ان الصحابة كانوا يطلبون منه ﷺ ولم ينكر عليهم ولم يقل أنتم أشركتم لانكم طلبتم منى قبل الاذن قال فدل ان ذلك جائز فى حياته وبعد موته لانه حى فى قبره بالاتفاق قال وماجاز أن يطلب منه فى حياته

جاز أن يطلب منه بعد موته ومن منع فعليه الدليل وعلى قولكم ان الطلب عبادة يقتضى أن لا فرق بين الحياة والممات انتهى أما استدلاله بطلب الصحابة منه فى حياته ان يدعو لهم ولم ينكر عليهم ولم يقل أنتم أشركتم فهذا من المغالطة والترويج على الجهال يقول اذا انكرتم طلب الدعاء منه بعد موته لزمكم الا تجيزوا طلب الدعاء منه فى حياته واذا قلتم انه لايشفع فى الآخرة الا من بعد اذن الله له لزمكم القول انه لايدعو لاحد فى الدنيا الا من بعد اذن الله له فى ذلك ويقول لما ثبت ان الصحابة يطلبون الدعاء منه فى حياته فكذلك يجوز بعد موته ويقول اذا كان يدعو لهم بغير اذن الله فى ذلك جاز أن يشفع فى الآخرة بغير اذن الله له هذا حقيقة كلامه فيقال لهذا وهل يقول أحد انه لايجوز طلب الدعاء منه فى حياته صلى الله عليه وسلم أو من غيره فلا يقول هذا أحد فقد كان أصحابه يطلبون منه أن يدعو لهم ويستسقى لهم ويستنصر لهم ويستغفر لهم وأمره الله بذلك فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فدعاؤه صلى الله عليه وسلم لهم من أعظم الوسيلة الى مطلوبهم وقال صلى الله عليه وسلم لعمر لما استأذنه فى العمرة أشركنا يا أخى فى دعائك وما زال المسلمون يطلب بعضهم من بعض الدعاء قال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية وقوله ان النبى صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليهم طلب الدعاء منه ولم يقل أنتم أشركتم لانكم طلبتم منى قبل الاذن فهذا تهويل منه وتوهيم للطغام وهل يقول هذا أحد وانما الذى يتوقف على الاذن من الله سبحانه هو الشفاعة فى الآخرة حين يرجع الامر والملك لله الواحد القهار الذى لايغلبه غالب ولا يقهره قاهر قال تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا

يوم لا تكلم نفس الا باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا والله سبحانه وتعالى فرق بين أحكام الدنيا والآخرة فشرع لاهل الدنيا دعاء بعضهم لبعض الاحياء والاموات وملكهم ما يتصرفون فيه فهم يتصرفون بحسب اختيارهم وأما الآخرة فاخبر سبحانه انه المتفرد بالملك والامر والتصرف فى ذلك اليوم فلا يضع أحد شيئا ولا أمر لغيره معه يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ولا شفاعة الا من بعد اذنه مامن شفيع الا من بعد اذنه فكلام هذا الضال يدور على التسوية بين أحكام الدنيا والآخرة وهذا من أعظم المحادة والمشاقة لله ولرسوله ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقوله انه ﷺ حى فى قبره بالاتفاق حكايته الاتفاق كذب منه وهو قد نقض حكايته الاتفاق بما ذكره من بعد الحكاية المروية عن مالك رحمه الله وقوله لابى جعفر ان حرمته ميتا كحرمته حيا فوصفه مالك بالموت حال كلامه مع أبى جعفر فما ذكره عن مالك يكذب دعواه الاتفاق ويأتى فى عبارة لهذا وصف فيها النبى ﷺ بالموت الآن فهو متناقض وعبارته التى أشرنا اليها قوله فى الكلام على حديث ياعباد الله احبسوا فقال ولكون النبى ﷺ حاضرا مع موته شرع لنا خطابه والسلام عليه فى الصلاة وهو قولنا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فقوله حاضرا مع موته وصف له بالموت الآن هذا مع انه لا يمكنه أن يأتى بحرف واحد عن الائمة الذين يعتد بوفاقهم وخلافهم كالائمة الاربعة وأمثالهم على حياته ﷺ فى قبره الحياة التى يشير اليها قال ابن القيم لم يرد حديث صحيح انه ﷺ حى فى قبره لكن نقطع ان الانبياء لاسيا خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين أعلى رتبة من الشهداء وقد قال سبحانه عن الشهداء انهم أحياء عند ربهم

يرزقون فالانبياء أولى بذلك قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ومع ذلك فالشهداء داخلون تحت قوله كل نفس ذائقة الموت انك ميت وانهم ميتون فاثبت سبحانه للشهداء موتا بدخولهم فى العموم كالانبياء وهو الموت المشاهد ونفى عنهم موتا فالموت المثبت غير الموت المنفى فالموت المثبت هو فراق الروح الجسد وهو مشاهد محسوس والمنفى زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن انتهى وقال البيضاوى على قوله سبحانه بل أحياء ولكن لاتشعرون فيه تنبيه على ان حياتهم ليست فى الجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هى أمر لايدرك بالعقل بل بالوحى انتهى ومن العجب أنه لو جاء انسان الى ميت على وجه الارض شهيدا أو غيره يطلب منه أن يدعو له فضلا أن يطلب منه أن ينصره على عدوه أو يكسوه لقال الناس هذا مجنون فاذا صار رميما فى بطن الارض زين لهم الشيطان ودعاة الضلال من الانس الاستغاثة به وطلب الحاجات منه والعامى السليم الفطرة يعلم بطلان هذا بفطرته كما حكى لنا ان رجلا من أهل مكة ينسب الى علم قال لرجل عامى من أهل نجد أنتم ماللاولياء عندكم قدر والله يقول فى الشهداء انهم أحياء عند ربهم يرزقون قال له العامى هل قال يرزقون يعنى بفتح الياء أو قال يرزقون يعنى بالضم فان كان يعنى بالفتح فأنا أطلب منهم فان كان يعنى بالضم فانا أطلب من الذى يرزقهم فقال المكى حجاجكم كثيرة وسكت ويقال لمن ادعى ان النبى ﷺ حى فى قبره كحياته كما كان على وجه الارض ثبت انه ﷺ مات بنص القرآن فاحجتكم على انه عاد حيا كما كان على وجه الارض قبل موته فلن يجد الى ذلك سبيلا وليس عندهم الامجرد دعوى أو شبهة لاحقيقة لها ويدل على بطلان هذه الدعوى مارواه أبو داود عنه ﷺ قال مامن مسلم يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام

فهذا يدل على ان روحه الشريفة ﷺ ليست فى بدنه دائما وانما هى فى أعلى عليين ولها اتصال بالجسد الله أعلم بحقيقته لايدركه الحس ولا العقل وليس ذلك خاصا به ﷺ لحديث تقدم عنه ﷺ قال مامن مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الارد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وفى صحيح مسلم عنه ﷺ ان أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى قناديل معلقة تحت العرش الحديث وقد أخبر سبحانه أنهم فى البرزخ أحياء عند ربهم يرزقون وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى حق النبى ﷺ أما الموتة التى كتبت عليك فقدمتها ولن يجمع الله عليك موتتين وقد قام الدليل القاطع انه عند النفخة فى الصور لايبقى أحد حيا فلو كان الامر كما يزعمون لكان الله قد يجمع عليه موتتين ولما قال ﷺ أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة على قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعنى قد بليت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء ولم يقل لهم أنا حى فى قبرى كحياتى الآن صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين قوله وما جاز أن يطلب منه فى حياته جاز أن يطلب منه بعد موته ومن منع فعليه الدليل ليس هذا خاصا به ﷺ عند هذا المعارض بل يزعم كما تقدم ان الله أمر بطلب الحاجات ممن يعترف هذا بموتهم فى قوله ان الله أمر بالطلب من الاموات والغائبين وادعى فى موضع آخر حياتهم فهو متناقض كما ترى قوله ومن منع فعليه الدليل فنقول جميع ماتقدم من الادلة الدالة على ان دعاء الاموات والغائبين وطلب الحاجات منهم من الشرك الذى حرمه الله ورسوله يدخل فى ذلك الملائكة والانبياء والصالحون وغيرهم لان ذلك عبادة وهى محض حق الله لايرضى أن يشرك معه فيها ملك مقرب ولا نبى مرسل قال تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين

من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وقال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقال سيد ولد آدم ﷺ لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله وقال المعترض وما جاز أن يطلب منه فى حياته جاز أن يطلب منه بعد موته تقدم الجواب عند قوله لان الشيء الواحد يكون بالنسبة للحى طاعة وبالنسبة للميت عبادة الخ تقدم هناك مافيه كفاية لمن أراد الله هدايته وكلامه فى هذا الموضع فى حق النبى ﷺ يحتاج الى زيادة بيان وايضاح فمن المعلوم بالضرورة ان الصحابة كانوا يطلبون منه ﷺ فى حياته أن يدعو لهم ويستغفر لهم ويستسقى لهم ويستفتونه ويطلب الناس منه عرض الدنيا مما أعطاه الله تعالى ويرجعون اليه فيما أشكل عليهم من أمر دينهم وهذا كله معلوم بالضرورة وأما بعد موته فلم يأت أحد من الصحابة الى قبره ﷺ يطلب منه أن يدعو له فضلا عن أن يطلب منه شيئا من عرض الدنيا أو نصر على عدو ونحو ذلك ولا استفتاه أحد منهم فيما أشكل عليهم فأول ذلك لما أشكل عليهم هل يجردونه من ثيابه عند غسله أولا لم يسألوه وهو بين أيديهم ولما عزم الصديق على قتال مانعى الزكاة وحصل عند عمر توقف فى ذلك لم يأت الى قبره يسأله عما استراب فيه ولما حضرت عمر الوفاة طلب من عائشة أن يدفن مع صاحبيه ولم يقل استأذنوا رسول الله ﷺ فى ذلك لعلمهم رضى الله عنهم ان هذه الامور مستحيلة منه بعد موته واستسقى عمر بالعباس ولم يأت هو والصحابة الى قبره يطلبون منه أن يستسقى لهم كما كانوا يفعلونه فى حياته وحدث فى المدينة حوادث عظيمة كوقعة الحرة ولم يأت أحد الى قبره ليستنصر لهم فضلا عن أن يطلبوا منه أن ينصرهم فلو كان هذا جائزا لأتوا الى قبره ذكرهم وأنثاهم لاسيما والمضطر يتشبث بادنى سبب يظن به النفع

وهذا مما تتوافر الهمم والدواعى على نقله لو فعل لكنهم أعلم بالله ورسوله من هؤلاء الخلوف وكان الناس يأتون الى عائشة يستفتونها وهى فى بيته ﷺ فكيف يستفتونها وتفتيهم وهو ﷺ عندهم يسمع كلامهم ويجيبهم لو سألوه فى زعم هذا المبطل ولما وقع الاختلاف بين على ومعاوية وأشكل أمرهم على كثير من الناس لم يأتوا الى قبره يستفتونه فى هذا الامر ليزيل الاشكال عنهم وأشكل على الصحابة مسائل كثيرة يختلفون فيها يوجد فى المسئلة لهم قولان أو ثلاثة أو أربعة وأكثر وقال عمر ثلاثة وددت انى سألت رسول الله ﷺ عنها فاين هذا المفترى عن أصحاب رسول الله ﷺ من أين يقول لهم كيف تشكل عليكم المسائل وتختلفون وهذا نبيكم بين ظهرانيكم حى ماعرفتم قدره هذه حقيقة دعوى هذا الملبس تخطئة أصحاب رسول الله ﷺ وتجهيلهم وكان ابن عمر يأتى الى القبر فيقول السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك يا أبتاه ثم ينصرف وقال سلمة بن ورد انى رأيت أنس بن مالك يسلم على النبى ﷺ ثم يسند ظهره الى جدار القبر ثم يدعو ونص الائمة الاربعة على انه اذا سلم على النبى ﷺ وأراد الدعاء انه يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر ومن المعلوم ان أعظم مطلوب الامة منه ﷺ أخذ العلم عنه ولم يقصد أحد منهم قبره ﷺ لذلك فالتابعون أخذوا العلم عن الصحابة وتابعو التابعين أخذوا العلم عن التابعين وكذا كل طبقة يأخذون العلم عمن فوقهم والعلماء يرحلون الى الآفاق حجازا وشاما ويمنا وعراقا لطلب الحديث بالاسانيد والوسائط الكثيرة وتحملوا المشاق العظيمة فلو كان مايقوله هذا حقا من من انه يطلب منه ﷺ بعد موته كل مايطلب منه فى حياته لتزاحموا عند قبره لاخذ العلم عنه على حقيقته ويتركون الوسائط وهذا أمر ظاهر الفساد لكن ربما يدخل كلامه هذا فى نفوس بعض الجهال لظنهم ان عند هذا

الرجل علما فيتهموا الفطرة التى فطروا عليها حتى يتبين لهم بطلانه وقوله فمن منع فعليه الدليل فاى دليل أبلغ وأوضح مما قررناه من أن الصحابة قبل موته ﷺ يطلبون منه جميع ماتقدم وانهم بعد موته ﷺ مافعلوا معه شيئا مما كانوا يفعلون معه فى حياته من طلب الدعاء منه أو استغاثته أوطلب حاجة من حوائجهم أونصر على عدو وكذلك التابعون بعدهم فلا دليل أوضح من هذا على بطلان قوله انه يطلب منه بعد موته جميع مايطلب منه فى حياته قال ابن القيم رحمه الله ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه الى أن قال ومن المحال أن يكون دعاء الاموات والدعاء بهم مشروعا وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فهذه سنة رسول الله ﷺ فى أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان هل يمكن بشرا على وجه الارض أن يأتى عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أوضعيف أو منقطع انهم اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا عن أن يصلوا عندها أو يسألوا الله باصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليوقفنا على أثر واحد فى ذلك بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التى خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد فى ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن الصحابة حرف واحد من ذلك بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمنا من الاحاديث المرفوعة وأما آثار الصحابة فأكثر من أن يحاط بها وقد ذكر جملة مما روى فى ذلك منها ماذكر محمد بن اسحاق فى مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبى خلدة خالد بن دينار قال

حدثنا أبو العالية قال لما فتحت تستر وجدنا فى بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب فدعا كعبا فنسخه بالعربية فانا أول رجل من العرب قرأه مثل ما أقرأ القرآن قلت لابى العالية ما كان فيه قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم بالرجل قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور لنعميه على الناس لاينبشونه فقلت وما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون فقلت ما كنتم تظنون الرجل قال رجلا يقال له دانيال فقلت منذ كم وجدتموه مات قال منذ ثلاثمائة سنة قلت ما كان تغير منه شيء قال لا الا شعيرات من قفاه ان لحوم الانبياء لاتبليها الارض ولا تأكلها السباع ففي هذه القصة مافعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا يفتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به هؤلاء المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فهم قد اتخذوا من القبور أوثانا من لايداني هذا ولا يقاربه وأقاموا لها سدنة فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحا لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علما لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التى خلفت بعدهم وكذلك التابعون لهم باحسان درجوا على هذا السبيل وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالامصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعا به ولا دعاه ولا دعا عنده أو استسقى به ولا استنصر به ومن المعلوم ان مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله بل على نقل ماهو دونه وذكر ابن القيم أيضا مارواه أبو داود فى سننه عن أبي هريرة

قال قال رسول الله ﷺ لاتجعلوا بيوتكم قبورا ولاتجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم وروى أبو يعلى عن على بن الحسين أنه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ قال لاتتخذوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على فان تسليمكم يبلغنى أينما كنتم رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى فى مختاراته وروى سعيد بن منصور فى سننه عن أبى سعيد مولى المهرى قال قال رسول الله ﷺ لاتتخذوا بيتى عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى وروى سعيد أيضا عن سهيل بن أبى سهيل قال رآنى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عند القبر فنادانى وهو فى بيت فاطمة يتعشى فقال هلم الى العشاء فقلت لاأريده فقال مالى رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي ﷺ فقال اذا دخلت المسجد فسلم ثم قال ان رسول الله ﷺ قال لاتتخذوا بيتى عيدا ولاتتخذوا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم وما أنتم ومن بالاندلس الا سواء قلت ورواه عبد الرزاق فى كتابه عن الحسن بن الحسن بن على انه رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال ان النبي ﷺ قال لاتتخذوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى قال ابن القيم فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث لاسيما وقد احتج به من أرسله فهذا يقتضى ثبوته عنده هذا لو لم يكن روى من وجوه مسندة غير هذين فكيف وقد تقدم مسندا قال شيخ الاسلام تقى الدين قدس الله روحه ووجه الدلالة منه ان قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر

على وجه الارض وقد نهى عن اتخاذه عيدا فقبر غيره أولى انتهى ففيما ذكرناه أوضح برهان وأبين دليل على بطلان دعوى هذا المفترى فى قوله ان ماجاز أن يطلب منه فى حياته جاز أن يطلب منه بعد موته صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين وقوله بل على قولكم ان الطلب نفسه عبادة يقتضى أن لافرق بين الحياة والممات الخ فقد تقدم الجواب عن هذه الشبهة فى كلامنا على قوله فيما تقدم اذا كان النداء دعاء لزمكم أن لا ينادى أحد لا حى ولا ميت وقوله هنا فعلى قولكم ان الطلب نفسه عبادة مقتضى كلامه ان الطلب من حيث هو ليس بعبادة سواء كان الطلب من الله أو من غيره فيقال له ان زعمت ان الطلب من الله ليس بعبادة فهذا معلوم البطلان كما قررناه فيما تقدم و بينا دلائله من ذلك ان الله أمر بدعائه وأثنى على من دعاه رغبا ورهبا فقال انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وسمى النبي ﷺ الدعاء عبادة فقال ان الدعاء هو العبادة وقال الدعاء مخ العبادة وكل ما أمر الله به أمرا يجاب أو استحباب فهو عبادة عند جميع العلماء فمن قال ان دعاء العبد ربه ليس بعبادة له فهو ضال بل كافر فان أقر انه عبادة ولا بد أن يقر الا أن يعاند ويكابر فاذا أقر ان دعاء العبد ربه عبادة فاذا دعا ربه راغبا وراهبا فقد عبده فاذا دعا من لا يسمعه أولا يستجيب له من ميت أو غائب كان قد دعا من لا ينفعه ولا يضره ونصوص القرآن صريحة فى النهى عنه وذم من دعا من هذه صفته فيدخل فى ذلك الاموات والغائبون كالجماد لان كلا من هؤلاء لا يستجيب لداعيه فلا ينفعه ان دعاه ولا يضره ان لم يدعه وتقدم حكاية الشيخ تقى الدين اجماع المسلمين على كفر من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم وتقدم أيضا قول الله سبحانه وتعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وقول المفسرين

انها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه وعزيرا والجن وقول الشيخ تقي الدين ان الآية تعم من دعا الاموات والغائبين فكل من دعا ميتا أو غائبا فهو داخل فى حكم هـذه الآية وهذا ظاهر لان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب والذين هم سبب النزول غائبون وغائبهم أقرب من غائب الانس ومنهم الميت كعزير ومريم ويقال لهؤلاء الذين يدعون الاموات أو الغائبين ادعوهم فيما يهمكم وينزل بكم من الشدائد فانهم لايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فكل من دعا من لايملك كشف ضره ولا تحويله داخل فى عموم الآية وأما طلب الانسان حاجته من حى حاضر مما يدخل تحت مقدور البشر فلم يمنع الله سبحانه من ذلك كما قدمنا مع أن ترك مسئلة الناس من تحقيق التوحيد وكماله فلو أن الله سبحانه أمرنا بطلب حاجاتنا من الاموات والغائبين كما زعم هذا وفعلنا ذلك امتثالا لامر الله كان ذلك عبادة منا لله لالغيره كما ان الله سبحانه لما أمر الملائكة بالسجود لآدم وسجدوا كان ذلك عبادة لله لالآدم ولو أمرنا الله بالسجود لنبينا وفعلنا كان ذلك عبادة منا لله لالنبينا ﷺ ولو فعلنا مانهانا الله عنه من السجود لغيره كان ذلك عبادة للمسجود له واحتج المعارض بما رواه الترمذى عن أنس أنه طلب من النبى أن يشفع له وهذا لاينكر كطلب أهل موقف القيامة من الرسل أن يشفعوا لهم وانما ننكر الطلب منه بعد موته وننكر الشفاعة الشركية التى أثبتها هذا بقوله ان الله ملك المؤمنين الشفاعة كما ملك أهل الدنيا ماأعطاهم فيها فهم كما قدمنا يتصرفون على حسب اختيارهم وحقيقة تشبيهه ان المؤمنين يشفعون بحسب اختيارهم من غير اذن من الله كحال أهل الدنيا فيما أعطاهم الله فهذه هى الشفاعة التى ننكرها كما نفاها القرآن واستدل المعترض بحديث الاعمى ولا حجة له فيه وليس فيه مايوهم

جوازدعائنا له والاستغاثة به وغاية مايفهم من حديث الاعمى التوسل بجاهه ﷺ كما فهمه منه ابن عبد السلام وقد بين شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله تعالى معنى الحديث وأوضحه غاية الايضاح ولفظ الحديث أن رجلاً أعمى جاء الى النبي ﷺ فقال يارسول الله ادع الله أن يكشف عن بصري قال ان شئت دعوت لك الله وان شئت صبرت قال ادعه فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويقول اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم فشفعه في هذا لفظه وليس فيه حجة لهذا في جواز الاستغاثة به ﷺ فهو لم يطلب من النبي ﷺ ان يرد عليه بصره وانما طلب منه ﷺ أن يدعو الله له وليس في الحديث صراحة لما فهمه ابن عبد السلام قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله بعد كلام ذكره ومن هذا استشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة يعني أنهم يطلبون منه أن يشفع الى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره وقول عمر انا كنا اذا توسلنا اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا معناه نتوسل اليك بدعائه وشفاعته وسؤاله ونحن نتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ليس المراد انا نقسم عليك به أو مايجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه كما قال بعض الناس أسألك بجاه فلان عندك أو يقولون انا نتوسل الى الله بانبيائه ورسله وأوليائه ويروون حديثا موضوعا اذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عند الله عريض فلو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه الى العباس مع علمهم ان السؤال به والاقسام به أعظم من العباس فعلم ان ذلك التوسل الذي ذكره عمر هو مما يفعل بالاحياء دون الاموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم فان الحي يطلب منه ذلك والميت لايطلب منه دعاء ولا غيره وكذلك حديث

مطلب

الاعمى فانه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره أن يسأل الله به قبول شفاعته وان قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة أى بدعائه وشفاعته كما قال عمر كنا نتوسل اليك بنبينا فلفظ التوجه والتوسل فى الحديثين بمعنى واحد ثم قال يامحمد انى أتوجه بك الى ربى لحاجتى ليقضيها اللهم فشفعه فى فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه وقوله يامحمد يانبي الله فهذا وأمثاله يطلب به منه استحضار المنادى فى القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلى السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يقول مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره فى نفسه وان لم يكن فى الخارج من يسمع الخطاب انتهى وقول المعترض ان ابن تيمية يقول ان الاعمى صور صورة النبي ﷺ وخاطبه كما يخاطب الانسان من يتصوره فى ذهنه ممن يحبه أو يبغضه وان لم يكن حاضرا قال وهذا عجيب من ابن تيمية فان نداء الصورة والطلب منها مع كونها وهما خياليا أقوى فى الحجة على المانع فهذا الحديث هو الدليل لمن يجوز نداء النبي ﷺ فى حياته وبعد موته والناظم ممن يرى ذلك انتهى انظر كذب هذا على ابن تيمية بقوله ان ابن تيمية يقول ان الاعمى صور صورة النبي ﷺ وليس هذا لفظ ابن تيمية وانما قال فهذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى فى القلب فيخاطب المشهود بالقلب كقول المصلى السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثم قال والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره فى نفسه وان لم يكن فى الخارج من يسمع الخطاب هذا لفظه على حديث الاعمى فى اقتضاء الصراط المستقيم وغيره هل قال ان الاعمى صور صورة النبي ﷺ وقول الشيخ بعد ذلك والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره فى

ذهنه أي يستحضره فى نفسه وقوله وهذا عجيب من ابن تيمية فان نداء الصورة والطلب منها مع كونها وهما خياليا أقوى فى الحجة على المانع فيقال وهل قال ابن تيمية انه يطلب من الصورة شيء ولم يذكر ابن تيمية لفظ الصورة وانما قال من يتصوره أي يستحضره ثم أتى المعارض بالكذب الصريح فى قوله وذكر ابن تيمية فى معنى هذا الحديث قولين قول بجواز التوسل به بمعنى طلب دعائه فى حياته وقول بجواز ذلك فى حياته وبعد مماته ومغيبه قال وقد وافق ابن تيمية ابن عبدالسلام بجواز الطلب والتوسل به ﷺ لحديث الاعمى فصار نداءه والطلب منه محل اتفاق انتهى ففى هذه الجملة من كلامه ثلاث كذبات الاولى قوله ان ابن تيمية حكى قولا فى معنى الحديث بجواز الطلب منه ﷺ فى حياته ومماته وحضوره ومغيبه الكذبة الثانية قوله ان ابن تيمية وافق ابن عبد السلام بقوله ان ابن عبد السلام يقول بجواز الطلب منه فى الحياة والموت والكذبة الثالثة قوله فكان نداءه والطلب منه محل اتفاق وكذبة رابعة على ابن عبدالسلام بقوله ان ابن عبد السلام يقول بجواز الطلب من النبي ﷺ والسؤال منه فى الحياة والممات أما قوله ان ابن تيمية حكى قولا فى معنى الحديث ان المراد طلب الدعاء منه فى الحياة والممات والحضور والغيبة فهو كاذب على الشيخ والشيخ رحمه الله جزم بأن معنى الحديث ان الاعمى طلب من النبي ﷺ أن يدعو له وان ذلك مختص بالحياة ممتنع بعد الموت كاستسقاء عمر بالعباس ثم ذكر قول ابن عبد السلام انه فهم من حديث الاعمى التوسل بجاه النبي ﷺ ولم يوافقه الشيخ على ذلك بل منع من التوسل بجاهه ﷺ وماجزم به الشيخ فى معنى الحديث وماحكاه عن ابن عبد السلام هما القولان اللذان ذكرهما فى معنى الحديث حديث الاعمى لا كما زعم هذا

الـكذاب ان القولين فى طلب الدعاء منه وان أحد القولين اختصاص ذلك بالحياة والقول الثانى ان ذلك جائز فى حياته ومماته ﷺ وان هذا قول ابن عبدالسلام وان الشيخ وافقه على ذلك فكذب على ابن عبد السلام وعلى الشيخ فى زعمه انهما أجارا طلب الدعاء منه ﷺ بعد موته ماأجرأ هذا على الـكذب لانه يرى كلام الشيخ على هذا الحديث نفسه وانـكار طلب الدعاء من الاموات لاسيما طلب ذلك منه ﷺ ويقول طلب الدعاء من الاموات شرك وكتابه فى الرد على ابن البكرى الذى جوز الاستغاثة بالنبي ﷺ موجود وكلامه على حديث استسقاء عمر بالعباس فى أن طلب الدعاء منه ﷺ مختص بحياته وكلامه فى هذه المسألة معروف مشهور موجود فى كتبه فكيف يجترئ على الـكذب الظاهر قوله فكان نداؤه والطلب منه محل اتفاق كذب ظاهر وخطأ فاحش أما أولا فانه لم يتفق ابن عبد السلام وابن تيمية على قول واحد فى مسئلة فانه لايقال فيه انه اتفاق وانما يقال هـذا محل اتفاق فيما اجتمعت عليـه الامة الذين يعتد بوفاقهم وخلافهم فى الاحكام وهذا لم يذكر كلمة واحدة توافق مذهبه عن صحابي ولا تابعي ولا عن امام من أئمة المسلمين وانما حقيقة أمر هذا الرجل كما قال بعض العلماء شرك مبنى على افك كذب على الله فى قوله ان الله أمر بالطلب من الاموات والغائبين وان هذا من الوسيلة التى أمر الله بها وكذب على النبي ﷺ فى زعمه ان حديث الاعمى وغيره مما أورده يدل على ذلك وادعى اتفاق العلمـاء على حياة النبي ﷺ فى قبره وادعى على ابن تيمية وابن عبد السلام انهما أجازا الطلب من النبي ﷺ بعد موته وان ذلك اتفاق وكذب فى قوله ان فى الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال لا أملك لـكم من الدنيـا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لااله الا الله وكذبه وتناقضه ومعارضته للقرآن والحديث لايخفى على عاقل منصف نبهنا على

على بعضه وأحببت أن أذكر هنا بعض كلام الشيخ رحمه الله في مسئلة التوسل وقول ابن عبد السلام قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في رده على ابن البكري وما زلت أبحث وأكشف ما أمكنني من كلام السلف والأئمة والعلماء هل جوز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء أو فعل ذلك أحد منهم فما وجدته ثم وقفت على فتيا للفقيه أبي محمد ابن عبد السلام أفتى بأنه لايجوز التوسل بغير النبي ﷺ وأما بالنبي فجوز التوسل به ان صح الحديث في ذلك وذكر القدوري في شرح الكرخي عن أبي حنيفة وأبي يوسف انه لايجوز أن يسأل الله الا به انتهى وذكر ابن القيم في اغاثة اللهفان عن أبي الحسين القدوري نحو ذلك فقال قال القدوري قال بشر ابن الوليد سمعت أبا يوسف قال قال أبو حنيفة لاينبغي لاحد أن يدعو الله الا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك أو يقول بحق خلقك وهو قول أبي يوسف قال أبو يوسف مقعد العز من غير شك هو الله فلا أكره ذلك وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام قال القدوري المسئلة بخلقه لاتجوز لانه لاحق للمخلوق على الخالق فلا تجوز يعني وفاقا وقال البلدجي في شرح المختارة ويكره أن يدعو الله الا به فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك ونحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى وهذه المسئلة غير مانحن فيه لكن ناسب ذكر ذلك لمخالفته لما فهمه ابن عبد السلام من حديث الاعمى وان الذي فهم ابن عبد السلام انما هو التوسل به صلى الله عليه وسلم في الدعاء لادعاؤه نفسه كما زعم هذا المفترى (واحتج المعترض) بالحديث الذي روى مرفوعا اذا انفلتت دابة أحدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان لله حاضرا يحبسه وزعم أن سنده صحيح وليس كما ذكر من صحته لان في سنده معروف ابن حسان وهو منكر الحديث قاله ابن عدي وعلى تقدير صحته فليس فيه حجة لهذا المبطل على جواز دعاء

الاموات والغائبين لانه قال فيه فان لله حاضرا سيحبسه المعنى ان لله عبادا لا نعلمهم وما يعلم جنود ربك الا هو قد وكلهم سبحانه بهذا الامر وهذا يدل على أن هؤلاء الذين أمر بندائهم حاضرون احياء جعل الله لهم قدرة على ذلك فناديهم ينادى من يسمع ويقدر على ذلك لقوله فان لله حاضرا سيحبسه وهذا كما ينادى الانسان أصحابه الذين معه فى السفر أن يردوا عليـه دابته اذا انفلتت وكل يتيقن ان النبى ﷺ لايأمره بمناداة من لايسمع ولا يعين من ناداه ومن استدل بذلك على جواز الاستغاثة بالاموات والغائبين فهو ضال قال المعترض بعد ايراده هـذا الحديث وأما قول من قال ان هـذا نداء لحاضر كذب ظاهر فان عباد الله المدعوين وان كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله الذى لايغيب عنه شيء فهم غائبون بالنسبة لمن يناديهم وكذلك الانبياء والصالحون من أهل القبور فانهم أحياء فى قبورهم وأرواحهم موجودة ولهـذا أمر النبى أن ينادوهم ويخاطبوهم كمخاطبة الحاضر مع انهم غائبون عن الاعين انتهى فالعجب من تناقض هـذا يورد هذا الحديث ونص الحديث فان لله حاضرا سيحبسه ثم يقول من قال ان هذا نداء لحاضر كذب ظاهر يورد الحديث ثم يكذبه وقوله فان عباد الله المدعوين وان كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله فهم غائبون بالنسبة لمن يناديهم فياسبحان الله كيف يبلغ اتباع الهوى بصاحبه الى هذا التناقض ومعارضة الاحاديث التى يحتج بها فاذا أخبر الرسول أنهم حاضرون قادرون بقوله فان لله حاضرا سيحبسه فاخبار الرسول بحضورهم أبلغ من رؤيتنا لهم كما لو كان الذى انفلتت دابته أعمى ويعلم أن عنده أناسا لايراهم فانه يستعين بهم لعلمه انهم يسمعون كلامه وان لم يكن يراهم قال المعـترض فى كلامه على هـذا الاثر قال ولكون النبى ﷺ حاضرا مع موته شرع لنا خطابه والسلام عليه فى الصلاة فقوله مع موته اقرار منه بموته فى قبره

الآن ثم كابر فادعى ان جميع الصالحين فى قبورهم أحياء وكذب فى هذه الدعوى والله سبحانه أخبرنا بحياة الشهداء فى كتابه والانبياء أرفع من الشهداء فهم أولى بذلك من الشهداء مع انه لم يأت حديث صحيح بحياتهم وهذه حياة لا يعلم صفتها وحقيقتها الا الله لقوله سبحانه بل احياء ولكن لا تشعرون وأما قوله بحياة الصالحين غير الانبياء والشهداء فى قبورهم فكذب منه وافتراء وقوله ولهذا أمر النبى ﷺ أن ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضر مع انهم غائبون عن الاعين فيقال لهذا المبطل الذى أمر به النبى ﷺ أمته وشرعه لهم عند زيارة القبور حجة عليك كافية فى ابطال مذهبك هل فيما شرعه النبى ﷺ حرف واحد يتضمن دعاءهم والطلب منهم والاستغاثة بهم بل ليس فيها ما يتضمن سؤاله بهم فليتأمل طالب الحق جميع ماجاء عن النبى ﷺ مما كان يقول اذا زارها وما أمر به أمته عند زيارتها هل يجد فيها حرفا واحدا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم يجدها مخالفة لما هم عليه من جميع الوجوه فضمون الزيارة التى شرعها ﷺ تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فبدل هؤلاء المشركون قولا غير الذى قيل لهم وغيروا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت بالاستغاثة به وسؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات والنصر على الاعداء واستنزال البركات وقوله ولهذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضر فيقال له وهل فى خطابهم لهم طلب حاجة منهم أو طلب الدعاء منهم أو المخاطب الزائر المسلم هو الذى يدعو لهم ويستغفر لهم ويترحم عليهم ويسأل الله لهم العافية فهل فى ذلك الا ما هو حجة عليك ثم يقال لهذا المتخرص هذا هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته مع الاموات فى دعائه لهم فى الصلاة على جنائزهم وعند دفنهم وعند زيارتهم هل تجد

فيها حرفا واحدا يوافق دعواك بطلب الحاجات من الاموات والغائبين ودعواك ان الله أمر بذلك بقوله وابتغوا اليه الوسيلة فكأن النبي صلى الله عليه وسلم ماعلم من معنى الوسيلة ماعلمت أو انه علم ذلك ولم يدل عليه بحرف واحد وكذلك أصحابه من بعده عند اتيانهم الى قبره صلوات الله وسلامه عليه لايزيدون على مجرد السلام عليه وعلى صاحبيه كما تقدم عن ابن عمر وأنس وغيرهما وما تقدم عن أهل بيته ﷺ من انكار على بن ابن الحسين زين العابدين على الذى يدعو الله عند قبره ﷺ وقول الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب للذى قال سلمت على النبي ﷺ وقال له اذا دخلت المسجد فسلم وفي رواية فنهاه واستدل بقوله ﷺ لاتتخذوا بيتى عيدا الحديث وتقدم أنخفى على هؤلاء السادة مافهمه هذا واشياعه من قول الله وابتغوا اليه الوسيلة وما فهمه من حديث الاعمى وغيره ولكن بهذا ونحوه يظهر مصداق قوله ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم وقد أخبر الله سبحانه عن أهل الكتاب قبلنا بالغلو والكذب وتحريف الكلم عن مواضعه وما ذكره المعترض عن عتبة بن غزوان فهو مثل الذى قبله كقوله فيه. فان لله عبادا لايراهم ولفظه اذا أضل أحدكم شيئا وأراد عونا وهو بارض فلاة ليس بها أنيس فليقل ياعباد الله اعينونى فان لله عبادا لايراهم قال المعترض فهب ان عباد الله المدعوين حاضرون كما قال ولكن اذا لم يرهم الداعى لهم كيف يهتدى الداعى الى طريق وهو لم يرهم فيقال قولك هذا اعتراض منك على ما استدللت به ونقول له قد تحصل الهداية باشارة أو علامة ترفع له أو يكونون من جنس الملائكة الذين يلقون فى قلب ابن آدم فكل هذا جائز ان صح الاثر فانظر تسميته النداء دعاء فى ثلاثة مواضع من هذا المحل وهو يقول ان طلب المخلوق من المخلوق لايسمى دعاء بل نداء فتناقض وهذا من سنة الله سبحانه فى المبطل انه

يتناقض واحتج أيضا بما روى ان رجلا جاء الى قبر النبي ﷺ فشكا اليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج فيستسقي بالناس هذا لفظه في اقتضاء الصراط المستقيم قال الشيخ رحمه الله ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ وأعرف من هذا وقائع قال وليس هو مما نحن فيه قال وهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر اما انه يدل على حسن حال السائل فلا ففرق بين هذا وهذا انتهى وهذه الحكاية التي احتج بها هذا هي حجة عليه في قوله ان ماجاز ان يطلب منه في حياته ﷺ جاز ان يطلب منه بعد موته وهو ﷺ لما كان حيا معهم على وجه الارض اذا طلبوا منه أن يستسقي لهم يستسقي بنفسه لايقول اذهبوا الى فلان ليستسقي لكم وفي هذه الحكاية لم يقل أنا أستسقي لكم بل أمر عمر يخرج بالناس يستسقي لهم فدل على ان هذا متعذر منه بعد موته ﷺ والصحابة خرجوا الى الصحراء مع عمر واستسقوا ولم يأتوا الى قبره يطلبون منه أن يستسقي لهم كما كانوا يفعلون في حياته بل ولا جاؤا يستسقون عند قبره وقوله ان صاحب هذه الحكاية صحابي أعلم من سائر علماء المسلمين فقوله هذا كذب ظاهر وهل يعرف اسمه حتى يعرف حاله والمدينة في ذلك الزمان يردها أهل الآفاق من العرب والعجم والبادية والحاضرة ولا سمى صاحب هذه الشكوى ولايدرى من هو فكيف يزكيه هذه التزكية البالغة وهو لايعرفه والشيخ يقول ومثل هذا اذا وقع لايدل على حسن حال السائل وقوله ان ابن تيمية ذكر هذه الحكاية وانه قال وهذا حق ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ والشيخ ذكر جملة من هذا النوع ثم قال وهذا حق يعني وقوع مثل هذا ثابت ليس مراده انه صواب كما زعمه هذا والشيخ رحمه الله لما قرر ان الدعاء عند القبور بدعة يعني قصدها لاجل دعاء الله عندها وان ذلك منهي عنه

وقرر ان دعاء المقبورين وسؤالهم الحاجات شرك قال ولا يدخل فى هذا ان قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين وان سعيد بن المسيب كان يسمع الاذان من القبر ليالى الحرة ونحو ذلك الى أن قال رحمه الله فان الخلق لم ينهوا عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد استهانة بأهلها بل لما يخاف عليهم من الفتنة وانما تكون الفتنة اذا انعقد سببها فلولا انه يحصل عند القبور مايخاف الافتتان به لما نهى الناس عن ذلك وكذلك مايذكر من الكرامات وخوارق العادات التى توجد عند قبور الانبياء والصالحين مثل نزول الانوار والملائكة عندها وتوقى الشياطين والبهائم لها واندفاع النار عنها وعمن جاورها الى أن قال فجنس هذا حق (١) وليس مما نحن فيه الى أن قال وكل هذا لايقتضى استحباب الصلاة عندها ولا قصد الدعاء والنسك عندها لما فى قصد العبادات عندها من المفاسد التى علمها الشارع كما تقدم قال فذكرت هذه الامور لانها مما يتوهم معارضتها لما ذكرنا وليس كذلك واحتج المعترض بالحكاية التى ذكرها القاضى عياض فى الشفاء ان الامام مالكا رحمه الله تناظر مع أبى جعفر المنصور فقال مالك ياأمير المؤمنين ان الله أدب أقواما فقال لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال ياأبا عبدالله أستقبل القبلة أم استقبل رسول الله ﷺ قال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم بل استقبله وتشفع به ثم قرأ ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ولما ذكر شيخ الاسلام تقى الدين رحمه تعالى أشياء ذكرها عن السلف

---

(١) قوله رحمه الله فجنس هذا حق يعنى وقوعه ثابت ليس مراده انه صواب

عامة وعن مالك خاصة قال وهذا الذى ذكرنا عن السلف ومالك يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه التى ذكرها القاضى عن محمد بن حميد قال ناظر أبو جعفر الخ قال رحمه الله فهذه الحكاية على هذا الوجه اما أن تكون ضعيفة أو مغيرة واما أن تفسر بما يوافق مذهبه اذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحاب من أصحابه فانه لايختلف مذهبه انه لايستقبل القبر عند الدعاء وقد نص انه لايقف عنده للدعاء مطلقا الى أن قال واما الحكاية فى تلاوة مالك هذه الآية ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله الاية فهو والله أعلم باطل فان هذا لم يذكره أحدمن الائمة فيما أعلم ولم يذكر عن أحد منهم انه استحب أن يسأل بعد الموت الاستغفار ولا غيره وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافى ذلك وانما يعرف مثل هذا فى حكاية ذكرها بعض المتأخرين من الفقهاء عن أعرابى أنه أتى قبر النبى ﷺ وتلا هذه الآية وأنشد

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * وطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ولهذا استحب طائفة من متأخرى الفقهاء من أصحاب الشافعى وأحمد مثل ذلك واحتجوا بهذه الحكاية التى لايثبت بها حكم شرعى لاسيما مثل هذا الامر العظيم الذى لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به واعمل به من غيرهم بل قضاء الله حاجة هذا الاعرابى وأمثاله لها أسباب قد بسطت فى غير هذا الموضع وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضى أن يكون ذلك السبب مشروعا مأمورا به فقد كان رسول الله ﷺ يسئل فى حياته المسئلة فيعطيها لايرد سائلا وتكون المسئلة محرمة فى حق السائل حتى قال انى لأعطى أحدهم المسئلة فيخرج بها يتأبطها نارا قالوا يارسول الله فلم تعطيهم قال يأبون الا أن يسألونى ويأبى الله لى البخل قال وقد يفعل الرجل العمل الذى يعتقده صالحا ولا يكون عالما انه

منهى عنه فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه وهذا باب واسع
قوله رحمه الله فى أول كلامه وهذا الذى ذكرناه عن السلف ومالك يبين
حقيقة الحكاية المأثورة عنه والكلام الذى أشار اليه قوله قبل ذلك
واتفق الأئمة على انه اذا دعا بمسجد النبي ﷺ لايستقبل قبره ويسلم عليه
وهو الذى ذكره أصحاب الشافعي وأظنه منصوصا عنه وقال أبو حنيفة
بل يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا فى كتب أصحابه وقال مالك فيما ذكره
اسمعيل بن اسحق فى المبسوط والقاضي عياض وغيرهما لاأرى أن يقف
عند قبر النبي ﷺ ويدعو ولكن يسلم ويمضى وقال أيضا فى المبسوط
لابأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو
له ولابى بكر وعمر فقيل له ان ناسا من أهل المدينة لايقدمون من سفر
ولايريدونه يفعلون ذلك فى اليوم مرة وأكثر عند القبر فيسلمون ويدعون
ساعة فقال لم يبلغنا هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ولا يصلح آخر هذه
الامة الا ماأصلح أولها ولم يبلغنى عن أول هذه الامة وصدرها انهم كانوا
يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر أو أراده ثم قال الشيخ فقول
مالك فى هذه الحكاية ان كان ثابتا عنه معناه انك اذا استقبلته وصليت
عليه وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فان الامم
يوم القيامة يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به فى الدنيا هو فعل مايشفع
له به يوم القيامة كسؤال الله له الوسيلة وكذلك ما نقل من رواية ابن وهب
اذا سلم على النبي ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدعو ويسلم
يعنى دعا للنبي ﷺ وصاحبيه فهذا هو الدعاء المشروع هناك كالدعاء عند
زيارة قبور المسلمين وهو الدعاء لهم فانه أحق الناس أن يصلى عليه ويدعى
له بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه وبهذا تتفق أقوال مالك ويفرق
بين الدعاء الذى أحبه والدعاء الذى كرهه وذكر انه بدعة انتهى ويشهد
لذلك مارواه عبد الرزاق فى كتابه عن معمر عن أيوب عن نافع قال

كان ابن عمر اذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك ياأبتاه قال معمر وأخبرناه عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال معمر فذكرت ذلك لعبيد الله ابن عمر فقال مانعلم أحدا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك الا ابن عمر وقال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادى فى كتابه الصارم المنكى فى الرد على السبكى محمد بن حميد الراوى هذه الحكاية أعنى حكاية أبى جعفر مع الامام مالك هو محمد بن حميد الرازى لاالعمرى كما ظنه السبكى قال وقد تكلم فى محمد بن حميد هذا غير واحد من الائمة ونسبه بعضهم الى الكذب قال يعقوب بن شيبة محمد بن حميد الرازى كثير المناكير وقال البخارى حديثه فيه نظر وقال النسائى ليس بثقة وقال أبو عباس محمد بن أحمد الازدى سمعت اسحق بن منصور يقول أشهد على محمد حميد وعبيد بن اسحق العطار بين يدى الله انهما كذابان وذكر عن جماعة كثيرة نحو ذلك فهذا يبين عدم صحة هذه الحكاية والله أعلم وذكر المعترض ماروى ان اعرابيا جاء الى قبر النبي ﷺ بعد ثلاثة أيام من دفنه ﷺ ورمى بنفسه وقال يارسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل عليك ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية وقد جئتك مستغفرا لذنبي فنودى من القبر غفر لك فياسبحان الله يعتمد على حكاية عن اعرابى بغير اسناد فى هذا الامر الذى لوكان مستحبا أو جائزا لفعله الصحابة والتابعون ولو كانوا يفعلون شيئا من ذلك لنقل عنهم لاعن اعرابى وغيره ممن لاتعرف حاله فلو وجد الناقل لهذه الحكايات شيئا من ذلك عن أحد من الصحابة وعلماء التابعين لكان أولى من نقله عمن لايعرف بصحبة ولا علم وأيضا فهذه حكايات بغير اسناد معروف بحيث لو يذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث بغير اسناد معروف رجاله لم يلتفت اليها مع انه ليس فى هذه الحكاية ونحوها انه طلب من النبى صلى الله عليه وسلم

أن يغفر له أو أن يدعو الله له قال المعترض ويعضد هذا الاثر المتقدم الذى تلقاه الائمة بالقبول يعنى أثر العتبى حتى ابن تيمية مع انه شدد فى ذلك فكذب على ابن تيمية فى قوله انه تلقاه بالقبول بل ابن تيمية خطا من احتج بحكاية العتبى كما قدمنا عنه وما روى من قول سواد بن قارب فكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب فهذه بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته كما تقدم من حديث أنس وكاستشفاع الناس به يوم القيامة وقوله أدنى المرسلين وسيلة فهو كذلك صلوات الله وسلامه عليه لان الوسيلة هى القربة والتوسل الى الله التقرب اليه بطاعته واتباع رسوله والاقتداء به وهذا هو الوسيلة المأمور بها فى قوله سبحانه وابتغوا اليه الوسيلة ومن الوسيلة دعاؤه لهم صلى الله عليه وسلم وطلبهم ذلك منه فى حياته كما كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم ويستسقى لهم كقول عمر اللهم كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا الحديث فهذا من الوسيلة المأمور بها واحتج المعترض بما روى انه قيل لابن عمر حين خدرت رجله اذكر أحب الناس اليك وان ابن عباس قاله لآخر فقال أحدهما محمد وقال الآخر يامحمد وليس له فى هذا حجة على طلب الحاجات من الاموات والغائبين والقائل لم يقل ادع أحب الناس اليك والمقول له لم يقل يامحمد أزل خدر رجلى فان صح الاثر فلعل المعنى فى ذلك أنه توسل الى الله بمحبة نبيه وأحدهما لم يأت بحرف النداء وذكرها أحدهما فلعل هذا مثل قولنا السلام عليك أيها النبى السلام عليك يارسول الله وخدر الرجل من نوع الضرر والمحتج بذلك يحتج به على جواز طلب كشف الضر من النبى ﷺ وغيره وقد قال الله تعالى قل انى لاأملك لكم ضرا ولارشدا أى لاأقدر على كشف ضر نزل بكم ولاجلب خير اليكم أى ان الله يملك ذلك لاأنا وقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا وقد ذكرنا فيما تقدم ان مفسرى الصحابة والتابعين ذكروا ان الآية نزلت فيمن

يعبد الملائكة والمسيح وأمه وعزيرا والجن والآية تعم كل مدعو من دون
الله فاذا كان الملائكة الذين يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم
لايملكون كشف الضر عمن دعاهم ولاتحويله من حال الى حال فغيرهم
أولى فاذا كان هؤلاء المذكورون لايستجيبون لمن دعاهم فهم داخلون
تحت قوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم
القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين وغيرها من الآيات فكيف تعارض نصوص القرآن بمثل
ذلك ومضمون دعوى المحتج بذلك ان الشفاء يطلب من النبي ﷺ وكان
فى رقية النبي للمريض اشف أنت الشافى لاشفاء الا شفاؤك فالمحتج بهذا
الاثر ما ادعاه معارض لنصوص القرآن والسنة مكذب لله ورسوله فيما
ذكرنا من الآيات والحديث ولو قال من خدرت رجله أعوذ برسول الله
صلى الله عليه وسلم من شر ما أجد صار مستعيذا بمخلوق ونص العلماء ان
الاستعاذة لاتجوز بمخلوق والاستعاذة نوع من الدعاء كما مر تقريره فلو قال
من أصابه ما يكره أعوذ بمحمد مما أجد واسئله كشف ما أجد أو اشكو
اليه ما أجد كان المعنى فى جميع هذه العبارات واحدا اذ المعنى أطلب ازالة ذلك
من النبي ﷺ وابن القيم ذكر هذا الاثر فلو كان فيه شبهة تعارض ما كان
يقرره من أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك لبين ذلك ورأيت من جملة
فتاوى القاضى أبي يعلى منها انه سئل عمن يقول يامحمد ياعلى فقال هذا
لايجوز لانهما ميتان وقول المعترض أوليس ابن تيمية قد عذر المتأول
والمقلد وقال انه يغفر للجاهل مالا يغفر لغيره فيقال لهذا انما يورد كلام
الشيخ هذا من يوافق الشيخ على تحريم الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من
الاموات وان ذلك لشرك ثم يقول لعله يغفر للجاهل ونحوه وأما من ينكر
قول الشيخ فى ذلك ويبدع من قال بقوله أو يكفره فلا يتوجه له القول
بعذر المذكورين لانه يقول انهم غير مخطئين بل مأجورين لامتثالهم أمر

الله فى قوله وابتغوا اليه الوسيلة فى زعم هذا المحرف لكلام الله فلا وجه لطلب العذر لهم وما قاله الشيخ رحمه الله فى هذا الباب اعنى باب التوحيد ليس باجتهاد منه لكنه بين مادلت عليه نصوص الكتاب والسنة واجماع العلماء فرحمه الله ورضى عنه والشيخ قال وقد يفعل الرجل العمل الذى يعتقده صالحا ولا يكون عالما انه منهى عنه فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه وهذا باب واسع قال ويغفر للجاهل مالا يغفر لغيره مراده فى الجملة لافى التفصيل ولهذا قال رحمه الله فى شرح العمدة فى أثناء كلام سبق فكل راد لخبر الله أو أمره فهو كفر دق أوجل لكن يعفى عما قد خفيت فيه طرق العلم وكان أمرا يسيرا فى الفروع بخلاف ماظهر أمره وكان من دعائم الدين من الاخبار والاوامر وقد قال رحمه الله ان الشرك لايغفر ولوكان أصغر ونقل ذلك عنه تلميذه صاحب الفروع فيه قال ذلك والله أعلم لعموم قوله ان الله لايغفر أن يشرك به وقال فى الرسالة السنية فكل من غلا فى نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يدعوه من دون الله بان يقول ياسيدى فلان أغثنى أواجبرنى أو توكلت عليك أو أنافى حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل وكذلك قال فى مسئلة الوسائط ان فاعل ذلك يستتاب فان تاب والا قتل وعموم قول الله ان الله لايغفر أن يشرك به يتناول كل مشرك والفقهاء من جميع المذاهب يذكرون فى باب حكم المرتد ان من أشرك بالله كفر ويحتجون بهذه الآية ونحوها ولم يخرجوا الجاهل من العموم وقال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون قال ابن جرير وهذا من أبين الادلة على خطأ من زعم ان الله لايعذب على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعلم منه لانه لو كان كذلك لم يكن بين فريق

الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه مهتد وفريق الهدى فرق وقد فرق الله بين أسمائها وأحكامها فى هذه الآية انتهى وليس كلامنا فى هذا الموضع فى هذه المسئلة وانما الكلام مع هؤلاء الضلال الدعاة الى الشرك الملبسين على الناس دينهم المفترين على الله الكذب المضلين للناس بغير علم وذكر المعترض ان فى تاريخ ابن كثير ان الصحابة كان شعارهم فى الحرب يامحمد وفى تاريخ آخر ان بعض المسلمين من التابعين أسرهم الكفار وألقوهم فى القدور فنادوا يامحمد اه وان خبيبا رضى الله عنه لما مثل به الكفار قال يامحمد فهذه هى وأشباهها هى حجة هذا المبطل وشيعته وهذه التواريخ وأشباهها فيها الصدق والكذب وأكثرها تحكى بغير اسناد ولو كان ماذكر فى هذه التواريخ ونحوها حديثا عن النبى ﷺ بغير سند متصل صحيح لم يحكم به فى فلس والحكاية الاولى ان هذا كان شعارهم فى الحرب لم يقل انهم يستغيثون به فى الحرب ولا أنهم يدعونه بل قال هذا شعارهم فى بعض غزواتهم حم لاينصرون وفى بعضها امت امت وما ذكر عن الذين كانوا فى زمن التابعين انهم قالوا يامحمد اه حكاية بغير اسناد عمن لم يعرف ومن هم محمد اه وما حكى ان خبيبا قال يامحمد ان صح فهذا ونحوه يقوله الانسان توجعا لفراق حبيبه ولا يشك عاقل ان خبيبا واشباهه لايستغيثون بالنبى ﷺ فى تلك الحال وهو لايسمع كلامهم كيف وقد قال لهم ﷺ لما استغاثوا به على رجل عنده فى المدينة قال انه لايستغاث بى وانما يستغاث بالله عز وجل ولكن صاحب الباطل يروج على الناس ويلبس عليهم بكل مايقدر عليه ولولا اتباع الهوى ما عارض بحكاية عن اعرابى أو عن تاريخ لايعرف غثه من سمينه مع أنه ليس له فيما يحكيه حجة على باطله ومع ذلك يعارض به نصوص القرآن كقوله تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولايضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين ومن أضل ممن يدعو من دون

الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فاذا كان
الملائكة المقربون لا يملكون كشف الضر عمن دعاهم ولا تحويله فنبينا
صلى الله عليه وسلم كذلك لا يكشف الضر عمن دعاه ولا تحويله فلو كان يملك شيئا
من ذلك لطلب أصحابه الذين هم أعلم الناس بالله و برسوله وبدينه منه مع
عموم هذه الآيات وغيرها تتناوله كغيره لايشك فى هذا عاقل سليم الفطرة
فضلا عن العالم المنصف هذا مع قوله سبحانه فى حق نبينا خاصة ماذكر
فى كتابه كقوله قل لاأملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله الآية وقوله
قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا أى لاأقدر على كشف ضر نزل بكم
ولا ايصال نفع اليكم أى لايملك ذلك الا الله فمن زعم ان غير الله يطلب منه
ذلك فهو مكذب لله وجاعل له شريكا فى ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا قال المعترض فدل على أن نداء النبى صلى الله عليه وسلم فى الشدائد أمر
معهود يعنى الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وانما عبر بالنداء طردا لقوله الباطل المتناقض
ان طلب المخلوق من المخلوق يسمى نداء لادعاء وقد بينا بطلان قوله هذا
ومخالفته للكتاب والسنة واجماع العلماء والنحويين وان الدعاء بطلب رفع
المكروه أو دفعه يسمى استغاثة كما يسمى دعاء فلما قال ان نداء النبى صلى الله عليه وسلم
فى الشدائد أمر معهود يعنى ان يطلب منه صلى الله عليه وسلم كشف الشدائد فهذا
حقيقة الاستغاثة فليسمه المبطل نداء أو طلبا أو توسلا أو تشفعا أو ما شاء
من الاسماء فان ذلك لاينفعه ولا يغير الحكم فهذا الضال يزعم ان الاستغاثة
بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الشدائد بعد موته أمر معهود يعنى معروف مشهور معمول
به عند الصحابة والتابعين فجعل هذا الصحابة والتابعين أشد غلوا فى النبى
صلى الله عليه وسلم من المشركين الاولين فى الملائكة والانبياء والجن والاصنام لان الله
سبحانه أخبر فى كتابه ان المشركين يخلصون الدعاء لله فى حال الشدة

وينسون آلهتهم من الملائكة والانبياء والجن والاصنام قال سبحانه واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وقال فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقال قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وقال فاذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما وقول هذا الرجل فيما تقدم ان الله أمر بالطلب من الاموات والغائبين عام فى الاوقات والاحوال والاشخاص فيا لله لعقول ضلت حيث لم يتبين لها ضلال هذا فى غالب كلامه وخاصته فى قوله ان الله أمر بطلب الحاجات من الاموات والغائبين فكما قدمنا اذا كان الله يحب ذلك لامره به فى زعم هذا الضال فالاولى ملازمة ذلك فى الشدة والرخاء فلا يسأل الا هو وحده ولا تطلب الحاجات الا منه ولا يرغب الا اليه وحده والمشركون الذين كانوا فى زمن النبى ﷺ يخلصون الدعاء لله فى الشدة وينسون غيره ونصوص القرآن ناطقة بذلك وهذا الملحد يقول الاستمرار على الطلب من الاموات والغائبين فى جميع الحالات أولى لان الله يحب ذلك لانه من الوسيلة التى أمر الله بها فالمحافظة على ما يحبه الله أولى من الغفلة عما يحبه سبحانه وتعالى فياسبحان الله كيف يلتبس أمر هذا على عاقل سليم الفطرة وما ذكر من قول صفية الا يارسول الله كنت رجاءنا فهذه حال من يبكى شخصا ويرثيه يخاطبه مخاطبة الحاضر وتذكر حاله ﷺ معهم لانه القائم بأمورهم فهو أبوهم خاصة وأبو المؤمنين عامة النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين وقد حمى النبى ﷺ جناب التوحيد أبلغ حماية حتى قال لا تجعلوا قبرى عيدا وقال لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد بل ماشاء الله ثم شاء محمد وقال للذى قال له ماشاء الله وشئت أجعلتنى

لله ندا فوازن بين قوله لمن قال ما شاء الله وشئت اجعلتني لله ندا و بين قول هذا الضال انه يستغاث به في الشدائد أليس هذا أولى بأن يقال له اجعلتني لله ندا وقد قال تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اءله مع الله أي اءله مع الله يفعل هذا والذي يقول أنه يستغاث بالنبي في الشدائد بقوله ان نداء النبي في الشدائد أمر معهود يقول انه يجيب المضطر ويكشف السوء والا كانت الاستغاثة به عبثا باطلا والمشركون يعترفون بأنه لاينجي من الشدائد والضرورات الا الله ولهذا يخلصون الدعاء لله في هذه الاحوال لعلمهم انه لاينجي منها الا الله قال الله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين قال البيضاوي دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ماينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد وقال أيضا على قوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين أي كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين حيث لايذكرون الا الله ولايدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد الاهو سبحانه انتهى وقال النبي ﷺ لحصين بن المنذر كم الها تعبد قال سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء ولما أقبل أبرهة على مكة وهرب أهلها منها خوفا منه قام عبد المطلب ونفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وهو يقول يارب لاأرجو لهم سواك يارب فامنع منهم حماك ان عدو البيت من عاداك فامنعهم أن يخربوا قراك واخبار الله سبحانه عنهم بالاخلاص في الكرب والشدائد كاف فياسبحان الله هؤلاء المشركون الذين نزل القرآن بتكفيرهم واباحة دمائهم وأموالهم للمسلمين يعلمون بقلوبهم ويقرون بألسنتهم بانه لا يكشف الشدائد الا الله ويفزعون فيما يهمهم الى الله وحده ويتركون الوسائط

الذين اتخذوهم شفعاء لهم عند الله قال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون ماتشركون وهذا الرجل الذى يسمى عالما يقول انه يطلب من النبي ﷺ كشف الشدائد وانه يكشفها فلولا انه يقول يكشفها لم يجوز طلب كشفها منه وكان طلب ذلك منه عناء بلافائدة ثم زعم ان الاستغاثة به ﷺ فى الشدائد أمر مشهور معمول به عند الصحابة والتابعين فنسب الى خير القرون ماهم أبعد الناس عنه ويكفى فى ابطال شبهه كلها قول الله تعالى قل لاأملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله قل انى لاأملك لكم ضرا ولا رشدا وهذا فى حال حياته صلى الله عليه وسلم فكيف الحال بعد الموت وهو أيضا لم يقتصر على النبى صلى الله عليه وسلم كما قرر فى أوراقه هذه ان الله أمر بطلب الحاجات من الاموات وانهم أحياء فى قبورهم مع ماضم الى ذلك من دعواه اثبات التصرف المطلق للنبي وغيره فى يوم القيامة ودعواه علم الغيب للنبى صلى الله عليه وسلم وما تضمنه كلامه من الكذب على الله وعلى رسوله وعلى العلماء كما بينا بعض ذلك فيما قدم وكذا مافى كلامه من التناقض والمعارضة الصريحة لكلام الله ورسوله ثم العجب ممن لقى كلامه بالقبول ولا رأوا بعض مافيه من الفضائح التى ينكرها العامى سليم الفطرة ولكن الامر كما قيل باطل وافق هوى والهوى يعمى ويصم ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ولنختم هذا الجواب بتلخيص فصل من اغاثة اللهفان لشمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى قال بعد كلام سبق ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبور وما أمر به وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ماعليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادا للآخر مناقضا له بحيث لايجتمعان أبدا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون

عندها ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد القناديل عليها ونهى أن تتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها أعيادا ويجتمعون أياما كاجتماعهم للعيد أوأ كثر وأمر بتسويتها كما روى مسلم فى صحيحه عن أبى الهياج الاسدى قال قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ألا أبعثك على مابعثنى عليه رسول الله ﷺ ان لا ادع تمثالا الا طمستة ولا قبرا مشرفا الا سويته وفى صحيحه عن ثمامة بن شفى قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برذودس فتوفى صاحب لنا فامر فضالة بقبره فسوى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها وهؤلاء يبالغون فى مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الارض كالبيت ويعقدون عليها القباب ونهى عن تجصيص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود فى سننه عن جابر أنه ﷺ نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها قال الترمذى حديث حسن صحيح وهؤلاء يتخذون عليها الالواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ونهى ان يزاد عليها غير ترابها كما روى أبو داود من حديث جابر أيضا أن رسول الله ﷺ نهى ان يجصص القبر ويكتب عليه أو يزاد عليه وهؤلاء يزيدون عليه سوى التراب الآجر والاحجار والجص الى أن قال فانظر الى هذا التباين العظيم بين ماشرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهى عما تقدم ذكره فى القبور وبين ماشرعه هؤلاء وقصدوه ولاريب ان فى ذلك من المفاسد مايعجز العد عن حصره فمنها تعظيمها الموقع فى الافتتان بها من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانها وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند البيت الحرام ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد والويل عندهم لقيمها ليلة يطفأ القنديل المعلق عليها ومنها النذر

لها ولسدنتها ومنها اعتقاد المشركين بها ان بها يكشف البلاء و ينصر على الاعداء ويستنزل غيث السماء وتفرج الكربات وتقضى الحوائج و ينصر المظلوم ويجار الخائف الى غير ذلك ومنها الدخول فى لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج ومنها الشرك الاكبر الذى يفعل عندها ومنها ايذاء أصحابها بما يفعل المشركون بقبورهم فانهم يؤذيهم مايفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة ومنها مشابهة اليهود والنصارى فى اتخاذ المساجد والسرج عليها ومنها محادة الله ورسوله ومناقضة ماشرعه فيها ومنها اماتة السنن واحياء البدع ومنها ان الذى شرعه رسول الله ﷺ عند زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء له والترحم والاستغفار له وسؤال العافية له فيكون الزائر محسنا الى نفسه والى الميت فقلب هؤلاء المشركون الامور وعكسوا الدين وجعلوا المقصود من الزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به وسؤاله حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت فاسمع الآن زيارة أهل الايمان التى شرعها الله على لسان رسوله ﷺ ثم وازن بينها و بين زيارة أهل الشرك التى شرعها لهم الشيطان اختر لنفسك قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ اذا كان ليلتى منه يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ماتوعدون غدا مؤجلون وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد رواه مسلم فى صحيحه وعنها أيضا ان جبريل أتاه فقال ان ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم قالت قلت كيف أقول يارسول الله قال قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المتقدمين والمتأخرين وانا ان شاء الله بكم للاحقون وفى صحيحه أيضا عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر

أن يقولوا السلام على أهل الديار وفى لفظ السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية وعن بريدة قال قال رسول الله ﷺ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن زارها فليزر ولا تقولوا هجرا أى حراما رواه الامام أحمد والنسائى وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدا للذريعة فلما تمكن التوحيد فى قلوبهم أذن لهم فى زيارتها على الوجه الذى شرعه ونهاهم أن يقولوا هجرا فمن زارها على غير الوجه المشروع الذى يحبه الله ورسوله فان زيارتها غير مأذون فيها ومن أعظم الهجر الشرك عندها قولا وفعلا وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ زوروا القبور فانها تذكر الموت وعن على بن أبى طالب قال قال رسول الله ﷺ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة رواه أحمد وعن ابن عباس قال مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم فقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم ونحن بالاثر رواه احمد والترمذى وحسنه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة رواه ابن ماجه وروى الامام احمد عن أبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان فيها عبرة فهذه الزيارة التى شرعها رسول الله ﷺ لامته وعلمهم اياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه وما أحسن ما قال الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى لن يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود أنبيائهم ونقص ايمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم اذا سلم على النبى

ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا قال سلمة بن وردان رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره الى جدار القبر ثم يدعو ونص على ذلك الأئمة الاربعة انه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر فان الدعاء عبادة وفى الترمذي وغيره الدعاء هو العبادة فجرد السلف الصالح العبادة لله ولم يفعلوا عند القبور منها الا ماأذن فيه رسول الله ﷺ من السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم وبالجملة فالميت قد انقطع عمله فهو محتاج لمن يدعو له ويشفع له ولهذا شرع فى الصلاة عليه من الدعاء له وجوبا أو استحبابا مالم يشرع مثله فى الدعاء للحى قال عوف بن مالك صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى تمنيت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله ﷺ على ذلك الميت رواه مسلم وقال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول فى صلاته على الجنازة اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للاسلام وأنت قبضت روحها وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر له رواه أحمد وفى سنن أبي داود عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء وقالت عائشة وأنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه رواه مسلم وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لايشركون بالله شيئا الاشفعهم الله فيه رواه مسلم فهذا مقصود

الصلاة على الميت وهو الدعاء والاستغفار والشفاعة فيه ومعلوم أنه فى قبره أشد حاجة منه على نعشه فانه حينئذ معرض للسؤال وغيره وقد كان سول الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعد الدفن فيقول سلوا له التثبيت فانه الآن يسأل فعلم انه أحوج الى الدعاء بعد الدفن فاذا كنا على جنازته ندعو له لا ندعو به ونشفع له لانستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل الشرك والبدع قولا غير الذى قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التى شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم احسانا الى الميت واحسانا الى الزائر وتذكيرا بالآخرة سؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذى هو مخ العبادة وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه فى المساجد وأوقات الصلوات ومن المحال أن يكون دعاء الموتى أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم مشروعا وعملا صالحا وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان هل يمكن بشرا على وجه الارض أن يأتى عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع انهم كانوا اذا كانت لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا عن أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم فليوقفونا على أثر واحد أو حرف واحد فى ذلك بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التى خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان أكثر حتى لقد وجد فى ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه فى الاحاديث

المرفوعة قال ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وماعليه أهل الشرك والبدع اليوم فى هذا الباب وغيره علم ان بين السلف و بين هؤلاء الخلف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب وانهم على شىء والسلف على شىء كما قيل

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

والامر والله أعظم مما ذكرنا وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن أم الدرداء قالت دخل على أبو الدرداء مغضبا فقلت مالك فقال والله ماأعرف فيهم من أمر محمد الا أنهم يصلون جميعا وروى مالك فى الموطأ عن محمد بن سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال ماأعرف شيئا مما أدركت عليه الناس الا النداء بالصلاة يعنى الصحابة رضى الله عنهم وقال الزهرى دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكى فقلت مايبكيك فقال ماأعرف شيئا مما أدركت الاهذه الصلاة وهذه الصلاة قدضيعت ذكره البخارى وفى لفظ آخر ما كنت أعرف شيئا على عهد رسول الله ﷺ الاقد أنكرته اليوم وقال الحسن البصرى سأل رجل أبا الدرداء فقال رحمك الله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا هل كان ينكر شيئا مما نحن عليه فغضب واشتد غضبه فقال وهل كان يعرف شيئا مما أنتم عليه وقال لمبارك بن فضالة صلى الحسن الجمعة وجلس يبكى فقيل له مايبكيك ياأبا سعيد فقال تلومونى على البكاء ولو أن رجلا من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم ماعرف شيئا مما كان عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم عليه الا قبلتكم هذه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ تم الكتاب ﴾

مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر